دكتور حمدان عبد الرحمن أحمد حمدان
كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

مصادر التراث الأدبي عند العرب

دراسة تحليليـــة نقدية

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

مطبعة الأمانة
٣ شارع جزيرة بدران شبرا - القاهرة

تقديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : فإن رغبتى فى دراسة « مصادر التراث الأدبى » رغبة قديمة ، تعود إلى تلك الأيام التى كنت فيها طالبا فى كلية اللغة العربية بالقاهرة ، وكنا نختلط - كثيرا - بإخواننا طلاب الكليات المماثلة فى الجامعات المصرية ، وكانت تدور بيننا وبينهم مناقشات فى فروع اللغة العربية ، وأشهد أننا كنا نتفوق عليهم فى معظم تلك الفروع باستثناء « مصادر التراث الأدبى » فقد كنا فيها أقصر منهم قامة ، وأقل معرفة ، لأنها كانت تدرس لهم - على مايبدو - فى مادة مستقلة تعرف باسم « المكتبة العربية » .

على أن جامعة الأزهر لم تلبث أن تنبهت إلى هذا الوضع فقررت هذه الدراسة على طلاب الكلية تحت عنوان : « قراءات فى أمهات الكتب » .

وهى دراسة مفيدة ومثمرة لجميع الطلاب وبخاصة إذا قدر لبعضهم أن يلتحقوا بالدراسات العليا التى تحتاج منهم إلى الخبرة السابقة بأمهات الكتب والتعرف عليها .

على أن هذه المصادر ليست مفيدة للمهتمين بالدراسات الأدبية والمتخصصين فيها ـ فحسب ـ ولكنها مفيدة كذلك وضرورية لجميع أبناء الأمة العربية الذين يرغبون فى معرفة تراث الآباء والأجداد وهو تراث ضخم اكتظت به المكتبات العربية قديما فى العالم الإسلامى من خراسان وما وراء النهر شرقا حتى بلاد المغرب والأندلس غربا . وعرف التاريخ الإسلامى عدداً من المكتبات كانت درة فى جيد الحضارة العربية مثل مكتبة قرطبة فى بلاد الأندلس ودار الحكمة فى بغداد ودار العلم فى مصر . وهذه المكتبات كانت تضم آلاف المجلدات والمخطوطات فى وقت كانت أوربا فيه غارقة فى ظلمات الجهل والتخلف .

على أن هذا التراث العربى والإنسانى لم يسلم من عاديات الزمن ونكبات الأيام فقد أغار عليه الحاقدون والمفسدون أمثال : التتار الذين دمروا مكتبات بغداد وألقوا بنفائسها فى مياه دجلة . وكذلك فعل الصليبيون مثلهم عندما قاموا بإحراق الكتب العربية والإسلامية فى غرناطة بعد سقوطها فى أيديهم سنة ١٤٩٢م

وما بقى من تراثنا النفيس بعد هاتين المحنتين تعرض بعضه للتلف والنهب والضياع

ولم يسلم لنا من تلك الذخائر والكنوز إلى القليل وهو فى حاجة ماسة إلى التحقيق والدراسة حتى يتعرف عليه أبناء العربية فى سهولة ويسر فيصلون حاضرهم بماضيهم وهو ماض مجيد كفيل أن يدفعهم إلى مستقبل مشرق بإذن الله .

ولقد انتهجت فى هذه الدراسة منهجا قويما حيث راعيت فيها الترتيب الزمنى كما راعيت التجانس الموضوعى وقمت بتقسيمها إلى خمسة فصول :

تحدثت فى الفصل الأول منها عن الاختيارات الأدبية منذ بداية التأليف الأدبى أمثال : المعلقات والمفضليات والأصمعيات وجمهرة أشعار العرب وتحدثت فى الفصل الثانى عن مختارات الحماسة واخترت منها : حماسة أبى تمام والبحترى وابن الشجرى ثم الحماسة البصرية

وفى الفصل الثالث : تحدثت عن كتب الطبقات واخترت منها :

١ ـ « طبقات الشعراء » لمحمد بن سلام الجمحى .

٢ ـ « الشعر والشعراء » لابن قتيبة .

٣ ـ « طبقات الشعراء المحدثين » لابن المعتز .

وفى الفصل الرابع : تحدثت عن كتب التراجم واخترت منها :

١ ـ « معجم الأدباء » لياقوت الحموى .

٢ ـ « وفيات الأعيان » لابن خلكان .

٣ ـ فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى .

٤ ـ الوافى بالوفيات للصفدى

وفى الفصل الخامس والأخير تحدثت عن أمهات الكتب الأدبية واخترت منها :

١ ـ الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى .

٢ ـ البيان والتبيين للجاحظ .

٣ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه .

ولقد ركزت فى هذه الدراسة على جانبين :

الأول : تناولت فيه حياة المؤلف بالدراسة الموجزة والعرض السريع لآثاره ومؤلفاته ومنهجه فى كتابه .

والثانى : تحدثت عن قيمة الأثر من الناحيتين الأدبية والنقدية ثم الإتيان بنموذج منه لبيان أسلوب الكاتب وطريقته فى العرض .

وبعد : فهذا جهد متواضع أرجو أن أضيف به لبنة فى صرح هذه الدراسة ، وماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

د/ حمدان عبد الرحمن

الفصل الأول

الاختيارات الشعرية

أولا : المعلقات

تعد المعلقات أول أثر جاهلي وصل إلينا مكتوبا ، ويقال : إن أول من رواها مجموعة فى ديوان خاص هو حماد بن سابور بن المبارك الذى يعرفه الباحثون باسم حماد الراوية المتوفى سنة ١٥٥ هـ (١)

وكان ملوك بنى أمية يبعثون إلى حماد فى العراق ليزورهم فى الشام ويروى لهم ما يحفظ أو يجيب على ما يسألون (٢)

وأما سبب تسميتها بذلك هو ما ذكره صاحب العقد الفريد من « أنه قد بلغ من شغف العرب بالشعر أن عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب فى القباطى المدرجة وعلقتها بين أستار الكعبة فمنه يقال : مذهبة امرىء القيس ومذهبة زهير والمذهبات السبع وقد يقال لها المعلقات (٣)

وتبعه على هذا الرأى ابن رشيق حيث يقول « وكانت المعلقات تسمى

---

(١) العقد الفريد ٥:٢٦٩ ابن عبد ربه

(٢) نزهة الألبا ٣٥ ابن الانبارى

(٣) العقد الفريد ٥ : ٢٦٩ ابن عبد ربه

المذهبات وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت فى القباطى بماء الذهب وعلقت على الكعبة .

فلذلك يقال : مذهبة فلان إذا كانت أجود شعره . ذكر ذلك غير واحد من العلماء [1]

وابن خلدون حيث يقول فى مقدمته « حتى انتهوا إلى المناغاة فى تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام موضع حجهم وبيت إبراهيم كما فعل امرؤ القيس بن حجر .

والنابغة الذبيانى وزهير بن أبى سلمى، وعنترة بن شداد وطرفة بن العبد وعلقمة بن عبدة والأعشى من أصحاب المعلقات السبع وغيرهم فإنه إنما كان يتوصل إلى تعليق الشعر بها من كان له قدرة على ذلك بقومه وعصبيته ومكانه فى مضر على ما قيل فى سبب تسميتها بالمعلقات [2]

وتبعهم على هذا الرأى البغدادى فى الخزانة حيث يقول : ومعنى المعلقة أن العرب كانت فى الجاهلية يقول الرجل منهم الشعر فى أقصى الأرض فلا يعبأ به ، ولا ينشده أحد حتى يأتى مكة فى موسم الحج فيعرضه على أندية قريش فإن استحسنوه روى وكان فخرا لقائله وعلق على ركن من أركان الكعبة حتى ينظر إليه وإن لم يستحسنوه طرح ولم يعبأ به ، وأول

---

(١) العمدة ١ : ٦١

(٢) مقدمة ابن خلدون ٥٣٢

من علق شعره فى الكعبة امرؤ القيس وبعده علقت الشعراء [١]

وممن أيد هذه التسمية وعلل لها الدكتور بدوى طبانة فى كتابه معلقات العرب وتبعه غير واحد من الباحثين .

وقد نفى ابن النحاس أنها علقت على أستار الكعبة حيث قال : ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على أستار الكعبة [٢]

أما الأستاذ عبدالسلام هارون فقد شكك فى هذه التسمية وفى تعليلها محتجا بأن أئمة الأدب وكبار الشراح أمثال : الجاحظ والمبرد وأبى زيد القرشى وأبى الفرج الأصفهانى وأبى بكر الأنبارى وأبى جعفر النحاس وأبى عبدالله الزوزنى وأبى زكريا التبريزى لم تؤثر عنهم هذه التسمية فضلا عن التعليل [٣]

ويؤيد الدكتور : شوقى ضيف التسمية لكنه ينفى أن تكون قد علقت على أستار الكعبة ويؤكد أنها سميت بالمعلقات لنفاستها أخذا من كلمة العلق بمعنى النفيس [٤]

وربما يكون السبب فى هذه التسمية أنها تشبه القلادة النفيسة التى تعلق فى أعناق الحسان .

ومهما يكن السبب فى تسميتها فإن حماد الراوية هو أول من جمعها فى

---

(١) خزانة الأدب ١:٦١ البغدادى ط بولاق

(٢) معجم الأدباء ١٠:٢٦٦ ياقوت الحموى

(٣) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات تحقيق عبدالسلام هارون ص١٣

(٤) العصر الجاهلى ١٧٦ د. شوقى ضيف

ديوان وهي عنده سبعة لامرىء القيس وزهير، وطرفة ولبيد وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة، وعنترة .

وقد رواها صاحب جمهرة أشعار العرب سبعا أيضا غير أنه أسقط اثنين من رواية حماد هما الحارث بن حلزة وعنترة بن شداد، وأثبت مكانهما الأعشى والنابغة

أما أبو زكريا يحيى بن على التبريزى المتوفى سنة ٥٠٢ هـ فقد جعلها عشرا جامعا بين الروايتين ومضيفا قصيدة عبيد بن الأبرص

« أقفر من أهله ملحوب »

هـذا وقد اهتم الباحثون والدارسون بهذه المجموعة فأكثروا من ذكرها وحفظها وشرحها والتنويه بها والتعليق عليها .

ومن أهم الشروح المطبوعة شرح أبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى المتوفى سنة ٣٢٧ هـ

وأبى عبدالله الحسين بن أحمد الزوزنى المتوفى سنة ٤٨٦ هـ وأبى زكريا يحيى بن على التبريزى المتوفى سنة ٥٠٢ هـ

وتعد هذه المجموعة من أكثر الاختيارات الشعرية شهرة وأبعدها صيتا وتداولا بين القراء .

نموذج من « المعلقات » شرح ابن الأنبارى

من معلقة امرىء القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

يقول ابن الأنبارى :

قفا : أمر ، ونبك : جوابه ، وقوله (قفا) فى الاعتلال له ثلاثة أقوال :

إحداهن : أن يكون خاطب رفيقين له .

والثانى : أن يكون خاطب رفيقا واحدا وثنى لأن العرب تخاطب الواحد بخطاب الاثنين فيقولون للرجل : قوما ، واركبا قال الله تبارك وتعالى مخاطبا لمالك خازن جهنم « ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد » فثنى وإنما يخاطب واحدا .

وقال الشاعر :

فإن تزجرانى يا ابن عفان أنزجر وإن تدعانى أحم عرضا ممنعا

وأنشد الفراء :

خليلى مرا بى على أم جندب لنقضى حاجات الفؤاد المعذب

ثم قال بعد :

ألم تر أنى كلما جئت طارقا وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

والعلة فى هذا أن أقل أعوان الرجل فى إبله وماله اثنان فجرى كلام الرجل على ما قد ألف من خطابه لصاحبيه .

والقول الثالث . أن يكون أراد قفن بالنون فأبدل الألف من النون وأجرى الوصل على الوقف ، وأكثر ما يكون هذا فى الوقف ، وربما أجرى الوصل عليه .

وكان الحجاج إذا أمر بقتل رجل قال : « ياحرسى اضربا عنقه » أراد اضربن فأبدل الألف من النون .

وقال الله عز وجل « لنسفعاً بالناصية » وقال فى موضع آخر « وليكوناً من الصاغرين » والوقف عليهما . لنسفعا وليكونا .

وأنشد الفراء:

فمهما تشأ منه فزارة تعطكم ومهما تشأ منه فزارة تمنعا

أراد تمنعن .

وقوله : « بسقط اللوى » سقط اللوى منعطفه .

والدخول وتوضح والمقراة مواضع .

ونكتفى بهذا القدر من شرح ابن الأنبارى للبيت الأول من معلقة امرىء القيس ونتبعه بغيره من أبيات المعلقة من غير شرح .

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل

ترى بعر الآرام فى عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل

كأن غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحى ناقف حنظل

وقوفا بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل

وإن شفائى عبرة مهراقة ... فهل عند رسم دارس من معول
كدأبك من أم الحويرث قبلها ... وجارتها أم الرباب بمأسل
إذا قامتا تضوع المسك منهما ... نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل
ففاضت دموع العين منى صبابة ... على النحر حتى بل دمعى محملى
ألا رب يوم لك منهن صالح ... ولا سيما يوما بدارة جلجل
ويوم عقرت للعذارى مطيتى ... فيا عجبا لرحلهـا المتحمل
فظل العذارى ترتمين بلحمها ... وشحم كهداب الدمقس المفتل
ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة ... فقالت لك الويلات إنك مرجلى
تقول وقد مال الغبيط بنا معاً ... عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل
فقلت لها سيرى وأرخى زمامه ... ولا تبعديني من جناك المعلل[1]

---

(١) انظر الأبيات وبقية المعلقة فى شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات شرح ابن الأنبارى تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ص ١٥ ومابعدها

ثانياً : المفضليات

تنسب هذه المجموعة إلى أبى العباس المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم الضبى ولد فى الكوفة فى أواخر العقد الأول من القرن الثانى الهجرى وتلقى العلم على علمائها وشيوخها أمثال : عاصم بن أبى النجود ، وأبى اسحاق السبيعى وسماك بن حرب وغيرهم من علماء الكوفة فى عصره .

ومالبث أن صار عالما من علوم اللغة والأدب وأيام العرب كما صار أستاذا لجيل من الرواة أمثال : على بن حمزة الكسائى وأبو زكريا يحيى ابن زياد الفراء وأبو عبد الله بن الأعرابى وأبو زيد الأنصارى وخلف الأحمر وغيرهم من الأعلام[١].

وقد اشتغل المفضل فى بداية أمره بالسياسة حيث انضم إلى إبراهيم بن عبد الله بن الحسن العلوى الذى خرج على أبى جعفر المنصور ولكن المنصور انتصر عليه وقبض على المفضل ثم عفا عنه وجعله مؤدبا لابنه المهدى فتفرغ له وصنف له كتاب المفضليات ، وله من المصنفات الأخرى (الأمثال) و (معانى الشعر) و (الألفاظ) و « العروض »[٢]

---

(١) تاريخ بغداد ١٣ : ١٢١

(٢) الفرست لابن النديم ١٠٢ ط بيروت
والأعلام للزركلى ٧ : ٢٨٠

وقد اختلف المؤرخون فى تاريخ وفاته فقيل توفى سنة ١٦٨ هـ وقيل سنة ١٧٥ هـ فى حين يرجح محققا المفضليات من استقراء بعض الشواهد أنه توفى سنة ١٧٨ هـ [1]

« أما كيف اختار المفضل القصائد التى تضمها هذه المجموعة فلذلك قصة :

فقد كان إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن على بن أبى طالب قد خرج فى البصرة على الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور وخرج معه كثير من العلماء منهم المفضل الضبى ولكن المنصور ظفر بإبراهيم أخيرا ونكل به وبأهله .

وكان إبراهيم يتخفى ذات مرة عند المفضل وكان المفضل يتركه ويخرج فقال له ذات يوم إنك إذا خرجت ضاق صدرى فأخرج إلىّ شيئا من كتبك أتفرج به فأخرج المفضل إليه كتبا فى الشعر والأخبار يقال : إنها كانت ملء قمطرين ، فلما عاد وجد أنه علم على سبعين قصيدة اختارها ، وكان له ذوق حسن فى الشعر .

ويبدو أن المفضل استخرج هذه القصائد السبعين ثم زاد عليها عشرا فيما بعد ، فإنه عندما ظفر المنصور بإبراهيم ظفر كذلك بالمفضل ولكنه عفا عنه وألزمه ابنه وولى عهده المهدى يؤدبه . وقد قدم المفضل لتلميذه القصائد

---

(١) انظر مقدمة المفضليات ص ٧ : ٢٦ ط دار المعارف.
تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون

الثمانين فقرأها هذا عليه ثم قرئت هذه القصائد نفسها على المفضل بعد ذلك ونسبت إليه وعرفت باسمه (١)

وتحتوى المفضليات التى حققها الأستاذان : أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون على مائة وست وعشرين قصيدة رويت بشرح أبى محمد الأنبارى الكبير ثم أضافا إليها أربع قصائد وجدت فى إحدى النسخ وبذلك أصبح عدد المفضليات مائة وثلاثين قصيدة .

ويذكر ابن النديم أن عدد قصائد المفضليات مائة وثمان وعشرين قصيدة وقد تزيد وتنقص ، وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواية عنه والصحيحة التى رواها عنه ابن الأعرابى (٢)

ولم يشرح المفضل هذه المختارات لأنه كان يروى شعرا مجردا ولم يكن بالعالم بالنحو ولا كان يشذو منه شيئا (٣)

وما فى هذه المفضليات من شرح إنما صنعه أبو محمد القاسم بن محمد ابن بشار الأنبارى المتوفى سنة ٣٠٤ هـ ،

وقد أخذها إملاء مجلسا مجلسا عن أبى عكرمة عامر بن سمران الضبى

---

(١) انظر المفضليات مقدمة المحققين ص ١٣ والمصادر الأدبية واللغوية ص ٧٠ د. عز الدين اسماعيل ، ومناهج التأليف عند العلماء العرب ص ٤٧٢ د/ مصطفى الشكعة

(٢) الفهرست ٣ : ١ ابن النديم

(٣) مراتب النحويين ١١٥

والمتوفى سنة ٢٥٥ هـ وأخذها أبو عكرمة عن ابن الأعرابى المتوفى سنة ٢٣٢ هـ

ولم يكتف أبو محمد بن الأنبارى بذلك وإنما كان يرجع إلى علماء آخرين مثل أبى عمرو بندار الكرخى وأبى بكر العبدى وأبى عبدالله محمد بن رستم وأبى الحسن على بن سنان الطوسى فيسألهم عن الشيء منها ، فلما فرغ منها كلها عرضها على أبى جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح المتوفى سنه ٢٧٣ هـ وقرأها عليه شعرها وغريبها فلما تم له ذلك أقرأها تلاميذه فكان ممن قرأها عليه ابنه أبو بكر محمد بن القاسم الأنبارى وقرأها على أبى بكر هذا أحمد بن محمد الخزاز وبذلك تمت لهذه المجموعة روايتها فى إسناد متصل من ابن الخزاز إلى المفضل الضبى (١)

ومع هذا الإسناد والرواية الكاملة للمفضليات فإن هذه المجموعة لم تسلم من الشك فى عدد قصائدها وفى أنها جميعا مما روى المفضل الضبى .

فقد جاء فى ذيل الأمالى والنوادر لأبى على القالى أن عدد القصائد التى قرأها المفضل الضبى على تلميذه المهدى ، ولقنه فهم الأدب ونصوصه بواسطتها ثمانون فقط ثم قرأها بعض أصحاب الأصمعى عليه وقد أضافوا إليها بعض ما أعجبوا به من خيار الشعر وسألوه عن غريبه فزاد عددها (٢)

---

(١) مصادر الشعر الجاهلى ٥٧٤ د. ناصر الدين الاسد ط دار المعارف

(٢) ذيل الأمالى ١٣٠ القالى

والمفضليات موزعة على سبعة وستين شاعراً منهم سبعة وأربعون جاهلياً وأربعة عشر مخضرما وستة شعراء إسلاميون . . ومعظمهم من الشعراء المقلين المجيدين أمثال تأبط شراً ، والشنفرى، والحارث بن حلزة والمرقش الأكبر والمسيب بن علس وذى الأصبع العدوانى وأبى ذئيب الهذلى وهم جميعا من الشعراء المقلين ولكن لشعرهم وزناً وقيمة عند أهل العلم والبصر بالشعر .

ويروى أن المنصور نفسه كان صاحب فضل فى توجيه المفضل الضبى فى اختيار هذا النوع من الشعر .

فقد ذكر أبو على القالى « أن المنصور مر ذات يوم بابنه المهدى وهو ينشد بين يدى أستاذه المفضل قصيدة المسيب بن علس العينية التى مدح بها القعقاع بن سعيد بن زرارة والتى مطلعها :

أرحلت من سلمى بغير متاع قبل العطاس ورعتها بوداع[1]

فلم يزل واقفا من حيث لم يشعر به أحد حتى استوفى سماعها ثم ذهب إلى مجلسه وأمر باحضار المفضل الضبى إليه فلما حضر قال له : لو عمدت إلى أشعار الشعراء المقلين واخترت لفتاك المهدى - لكل شاعر أجود ما قال لكان ذلك صوابا[2]

---

(١) العطاس : الصباح

(٢) ذيل الأمالى ١٣٠ للقالى

ومهما اختلف الباحثون فى عدد قصائد المفضليات أو فى صحة نسبتها كلها إلى المفضل الضبى فهى تعد فى نظرنا من أوثق مصادر الشعر الجاهلى كما تعد من عيون الشعر العربى .

فلقد مثلت جوانب الحياة الجاهلية ودارت مع الأيام والأحداث ، وعلاقات القبائل بعضها ببعض وبملوك الجاهلية من الغساسنة والمناذرة وانطبعت فى كثير منها البيئة الجغرافية وقد جاء فيها غير قليل من الكلمات المندثرة التى لم ترد فى المعاجم اللغوية على كثرة ما أثبتت من الألفاظ المهجورة مما يرفع الثقة بها ويؤكدها (١)

والمفضليات فوق ذلك قيمة أدبية عظيمة فلقد اشتملت على عدد من القصائد الكاملة - كانت وما زالت - تعد من عيون الشعر العربى القديم . ولا أدل على ذلك من شهرتها ورواجها بين الناس منذ عصر المفضل وحتى عصرنا الحاضر مما يؤكد إدراك الناس لهذه القيمة .

كما أن لها قيمة تاريخية لا تنكر لأنها اشتملت على مختارات من عيون الشعر الجاهلى والمخضرم والإسلامى بروايات موثوق فى صحتها .

وقد ظفرت المفضليات باهتمام الدارسين والشراح والمعلقين .

وأول من قام بشرحها أبو محمد القاسم محمد بن بشار الأنبارى المتوفى سنة ٣٠٥ هـ

---

(١) العصر الجاهلى ١٧ د. شوقى ضيف

وقد حقق هذا الشرح ونشره المستشرق (شارل ليال) وأصدرته مطبعة الآباء اليسوعيين فى بيروت سنة ١٩٢٠ م على نفقة جامعة اكسفورد .

ثم شرحها أبو جعفر بن النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ هـ

ثم أبو على المرزوقى المتوفى سنة ٤٢ هـ

وقام بشرحها بعد ذلك أبو زكريا يحيى التبريزى المتوفى سنة ٥٠٣ هـ

وأخيرا : أبو الفضل الميدانى المتوفى سنة ٥١٨ هـ

هذا وقد طبعت المفضليات عدة طبعات فى مصر وفى البلاد العربية وأشهر هذه الطبعات طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٤٢ م مع تحقيق الأستاذين : أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون .

ثالثا : الأصمعيات

تنسب هذه المجموعة إلى الأصمعى ، وهو أبو سعيد عبد الملك بن قريب ابن أصمع الباهلى راوية العرب ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان ولد بالبصرة سنة ١٢٢ هـ أو سنة ١٢٣ هـ وتوفى بالبصرة وقيل بمرو سنة ٢١٦ هـ على أرجح الأقوال .

وهو من الرعيل الأول من الرواة العلماء بالبصرة

تلقى العلم على كبار علماء عصره وأدبائهم أمثال : شعبة بن الحجاج وسليمان بن المغيرة وحماد الراوية وحماد بن زيد وهم من صفوة العلماء فى عصره .

ومن تلاميذه الذين أخذوا عنه : ابن أخيه عبد الرحمن بن عبدالله ابن قريب وأبو حاتم السجستانى وأبو عبيدالله القاسم بن سلام وأبو الفضل الرياشي وأحمد بن محمد اليزيدى وأبو العباس الكديمى وغيرهم [1]

وكان الأصمعى يكثر من التطواف فى البوادى يقتبس علومها ويتلقى أخبارها ويتحف بها الخلفاء فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة وكان الرشيد يسميه (شيطان الشعر)

وكان الأصمعى يقول . أحفظ عشرة آلاف أرجوزة [2]

---

(١) تاريخ بغداد ١٠:٤١٥ للخطيب البغدادى
(٢) نزهة الألبا ١٢٣ ابن الأنبارى

وقد شهد له الإمام الشافعى بصدق الرواية حيث يقول عنه (ما رأيت بذلك العسكر أصدق من الأصمعى)[١]

والحق أن الأصمعى كان كثير الحفظ سريع الفهم حاضر البديهة صادق الرواية وأخباره مع خلفاء عصره مشهورة .

ولا أدل على سعة علمه وكثرة حفظه من آثاره الأدبية واللغوية التى خلفها لنا .

فقد ذكر له صاحب الفهرست سبعة وأربعين كتابا فى اللغة وما يتصل بها من أدب ونحو وصرف وشعر ورجز ، وفى الإنسان وخلقه وفى الحيوان من إبل وخيل وشاة ووحش وفى النبات والشجر والنخيل وفى جزيرة العرب وداراتها وأنوائهـا ، وفى الأعراب ونوادرهم وأخبارهم وفى موضوعات أخرى تتصل بالحياة العامة وجوانب المجتمع والبيئة [٢]

ومن أشهر كتبه كتاب (الإبل) و (الأضداد) و (خلق الإنسان) و (المترادف (الفرق) أى الفرق بين أسماء الأعضاء من الإنسان والحيوان و (الخيل) :

و (الشاه) و (الدارات) و (شرح ديوان ذى الرمة) و (الوحوش وصفاتها ثم كتاب (الأصمعيات)

(١) مناهج التأليف عند العلماء العرب ١٣٨ د. الشكعة

(٢) انظر الفهرست لابن النديم ١٨٨ والأعلام للزركلى ٤ : ١٦٢ ط بيروت

والأصمعيات كتاب على نسق المفضليات يضم مختارات من الشعر الجاهلي والمخضرم والإسلامي تبلغ اثنتين وتسعين قصيدة ومقطوعة لواحد وسبعين شاعرا جاهليا وهم الأغلبية وأربعة عشر شاعرا مخضرما وستة شعراء إسلاميين وسبعة مجهولون ومن مجموع هؤلاء الشعراء أربعة وخمسون شاعرا أورد الأصمعي لكل منهم نموذجا واحدا وأربعة عشر شاعرا أورد لكل منهم نموذجين وشاعران أورد لكل منهما ثلاث قصائد وهما عبد الله بن عنمة وعمرو بن معد يكرب وشاعر واحد أورد له أربع قصائد هو خفاف بن ندبه[1].

وهذه المجموعة من المختارات لا تقل ثقة ولا جودة عن المفضليات فقد ورد فيها كثير من الكلمات المهجورة التي لم تثبتها المعاجم اللغوية كما أنها لا تقل ثقة في روايتها عن المفضليات.

ولكن على الرغم من ذلك فليست لها شهرة المفضليات كما أنها لم تحظ من الشراح بالعناية التي حظيت بها المفضليات وذلك راجع إلى أمرين :

الأول : أن المفضليات امتازت عنها بكثرة الغريب ، والكلمات الوعرة وقد كان الشراح - قديما - يقبلون على هذا اللون من الشعر أكثر من إقبالهم على غيره.

الثاني : أن المفضل أكثر من اختيار القصائد الكاملة في مفضلياته مما أعطاها قيمة وثقة لدى جمهور القراء بخلاف الأصمعي الذي أكثر في

---

(١) المصادر الأدبية واللغوية ص ٧٦ د. عز الدين اسماعيل

مختاراته من المقطوعات القصيرة ممـا صرف الشراح والدارسين عن الاهتمام بها .

ومهما يكن : فإن الأصمعيات لم تبلغ الشهرة التى بلغتها المفضليات ولم تظفر باهتمام الشراح مثلما حدث للمفضليات وقد صدرت للأصمعيات طبعتان :

الطبعة الأولى : نشرت فى برلين بعناية المستشرق الألمانى « فلهلم ألفارد » سنة ١٩٠٢م

والطبعة الثانية : فى مصر بتحقيق الأستاذين : أحمد محمـد شاكر وعبد السلام هارون عن نسخة للشنقيطى نقلاها عن أصل قديم وهى نشرة علمية جيدة صدرت عن دار المعارف بمصر فى سنة ١٩٥٥

وقد ترجم المحققان لكل شاعر فى هذه المجموعة ترجمة موجزة وخرجا شعره وشرحا الغريب فيه ، ثم ألحقا بالكتاب عددا من الفهارس المفيدة وبخاصة فى الطبعة الثـانية التي صدرت في سنة ١٩٦٣م وهي التي بين أيدينـا اليوم .

رابعا : جمهرة أشعار العرب للقرشي

تنسب هذه المختارات إلى أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي وهو مجهول في جميع كتب التراجم والطبقات ، فلم يرد له ذكر مع اللغويين والنحويين ، ولا مع الشعراء والأدباء ، ولا مع المؤلفين والمصنفين وجامعي الدواوين .

وأول إشارة إليه إنما وردت في كتاب العمدة لابن رشيق[١] .

ثم ذكره السيوطي في المزهر[٢] والبغدادي في خزانة الأدب[٣] .

كما ذكره سليمان البستاني في مقدمة الإلياذة وجعل وفاته سنة ١٧٠هـ ثم تبعه بطرس البستاني في كتابه « أدباء العرب في الأعصر العباسية » إذ جعله من أهل العصر العباسي الأول .

وكذلك ذهب الدكتور : أحمد أمين في كتابه « ضحى الإسلام » ويرجح الدكتور : عمر الدقاق أن أبا زيد من رجال القرن الثالث[٤] .

ويؤكد الدكتور : ناصر الدين الأسد - بعد تحقيقات كثيرة - إلى

---

(١) العمدة ٦٠/١
(٢) المزهر ٤٨٠/٢
(٣) خزانة الأدب ١٠/١
(٤) مصادر التراث العربي ص٥٠

أن أبا زيد من رجال القرن الرابع[1].

ويستنبط الدكتور : مصطفى الشكعة من خبر فى مقدمة : « الجمهرة » أن أبا زيد قد عاش فى منتصف القرن الثالث الهجرى وهذا الخبر هو قول أبى زيد وعن المقنع عن أبيه الأصمعى قال : دخلت البادية من ديار فهم فقال لى رجل منهم : ما أدخل القروى باديتنا ؟

فقلت : طلب العلم ، فقال : عليك بالعلم فإنه أنس فى السفر ، وزين فى الحضر ، وزيادة فى المروءة ، وشرف فى النسب ، وفى مثل هـذا يقول الشاعر :

عى الشريف يشين منصبه   وابن اللئيم يزينه الأدب

وهذا الخبر يحدد لنا بالتقريب الحقبة الزمنية التى عاش فيها أبو زيد القرشى صاحب الجمهرة ذلك أن الأصمعى قد توفى سنة ٢٠٦هـ ، وأبو زيد لم يرو عنه مباشرة وإنما روى عن جيلين قبله وهما المقنع وأبوه فإذا افترضنا أنه بين كل جيل وسابقه خمسة وعشرين عاما يكون أبو زيد قد عاش حوالى سنة ٢٥٠هـ يعنى منتصف القرن الثالث الهجرى[2] .

وقد توصل إلى النتيجة نفسها الدكتور : عز الدين إسماعيل مؤكدا أن أبا زيد كان بينه وبين الأصمعى راويين . ومعنى هذا أنه عاش فى القرن

---

(١) مصادر الشعر الجاهلى ٥٨٧

(٢) انظر مناهج التأليف ٤٧٧ د. مصطفى الشكعة

الثالث وشهد طرفا من القرن الرابع[1] كما توصل إليها أيضا الدكتور شوقى ضيف[2] .

وكتاب « جمهرة أشعار العرب » يتفق مع المفضليات ، والأصمعيات فى أنه يقوم على اختيـار قصائد من عيون الشعر الجاهلى والمخضرم والإسلامى .

وإذا كان كل من حماد والمفضل والأصمعى لم يقدم لاختياراته بدراسة أو مقدمة فإن أبا زيد قد خالفهم فى ذلك وقدم لكتابه بمقدمة طويلة .

يقول فى أولها : هذا كتاب جمهرة أشعار العرب فى الجاهلية والإسلام، الذى نزل القرآن بألسنتهم ، واشتقت العربية من ألفاظهم ، واتخذت الشواهد من معانى القرآن وغريب الحديث من أشعارهم ، وأسندت الحكمة والآداب إليهم تأليف أبى زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى ، وذلك أنه لما لم يوجد أحد من الشعراء بعدهم إلا مضطرا إلى الاختلاس من محاسن ألفاظهم وهم إذ ذاك مكتفون عن سواهم بمعرفتهم .

وبعد : فهم فحول الشعراء الذين خاضوا بحره ، وبعد فيه شأوهم ، واتخذوا له ديوانا كثرت فيه الفوائد عنهم . ولولا أن الكلام مشترك لكانوا قد حازوه دون غيرهم ، فأخذنا من أشعارهم إذ كانوا هم

---

(١) المصادر الأدبية واللغوية ٧٩ د . عز الدين اسماعيل

(٢) العصر الجاهلي ١٧٨ د . شوقي ضيف

الأصل غرراً هى العيون من أشعارهم وزمام ديوانهم .

ونحن ذاكرون فى كتابنا هذا ماجادت به الأخبار ، والأشعار المحفوظة عنهم ، وما وافق القرآن من ألفاظهم .

وما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعر والشعراء ، وما جاء عن أصحابه والتابعين من بعدهم ، وما وصف به كل واحد منهم وأول من قال الشعر ، وما حفظ عن الجن وماتوفيقى إلا بالله[1] .

ويبدو من هذا النص . أن أبازيد كان يتعصب للشعر القديم لأنه هو الأصل وأن من جاءوا بعد ذلك من الشعراء كانوا مضطرين إلى الاختلاس من محاسنه ولذلك فقد اقتصر فى مختاراته على هذا الشعر .

وقد جمعت مقدمته بين الصواب والخطأ والغث والسمين حيث نسب شعرا إلى آدم عليه السلام وإلى عاد وثمود والعمالقة وغيرهم من الأمم البائدة كما نسب أشعارا إلى إبليس والجن وهى أشعار يمكن للقارىء أن يتسلى بها على ألا يأخذها مأخذ الحقيقة والجدية[2] .

وإلى جانب ذلك قدم فصولا على جانب كبير من الأهمية لكبار الشعراء فى الجاهلية أمثال : زهير ، والنابغة ، ولبيد وأعشى بكر بن وائل وعمرو بن كلثوم وطرفة ..

---

(١) جمهرة أشعار العرب ص٩ ط بيروت

(٢) مناهج التأليف عند العلماء العرب ٤٧٨ د. الشكعة

وفضلا عن ذلك فقد أورد أخبارا عن الأعراب والشعراء وبعض خلفاء بنى أمية .

وقد اختط أبو زيد لنفسه منهجا واضحا فى تصنيف القصائد المختارة حيث قسمها إلى سبعة أقسام جعل فى كل قسم منها سبع قصائد وقد جعل هذه الأقسام متدرجة مع طبقات الشعراء من الجاهلية إلى العصر الأموى وقد أطلق على كل مجموعة من القصائد التى تمثل طبقة من هذه الطبقات اسما خاصا .

الطبقة الأولى : جعلها لأصحاب المعلقات وهم فى رأيه : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة والأعشى ، ولبيد ، وعمرو بن كلثوم ، وطرفة ابن العبد .

الطبقة الثانية : لأصحاب الجمهرات ومعناها : المحكمة السبك وهم : عبيد بن الأبرص ، وعدى بن زيد ، وبشر بن أبى خازم وأمية بن أبى الصلت ، وخداش بن زهير ، والنمر بن تولب وعنترة .

الطبقة الثالثة : جعلها لأصحاب المنتقيات ــ أى المختارات ــ وهم : المسيب بن علس ، والمرقش الأصغر ، والمتلمس وعروة بن الورد ، والمهلهل ابن ربيعة ، ودريد بن الصمة والمتنخل بن عويمر الهذلى .

الطبقة الرابعة : لأصحاب المذهبات[1] وهم :

---

(١) ربما يقصد من وراء هذه التسمية أن هذه القصائد تستحق أن تكتب بماء الذهب

حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ، ومالك بن العجلان وقيس بن الخطيم ، وأحيحة بن الجلاح ، وأبو قيس ابن الأسلت ، وعمرو بن امرىء القيس .

الطبقة الخامسة : لأصحاب المراثى وهم :

أبو ذئيب الهذلى ، ومحمد بن كعب الغنوي ، وأعشى باهلة ، وعلقمة ذو جدن الحميرى ، وأبو زيد الطائى ، ومتمم بن نويرة اليربوعى ، ومالك بن الريب التميمى .

الطبقة السادسة : جعلها لأصحاب المشوبات(١) .

وهم : نابغة بنى جعدة ، وكعب بن زهير ، والقطامى ، والحطيئة ، والشماخ بن ضرار وعمرو بن أحمر وتميم بن مقبل العامرى .

الطبقة السابعة والأخيرة : جعلها لأصحاب الملحمات(٢) :

وهم : الفرزدق وجرير والأخطل والراعى وذو الرمة والكميت بن زيد الأسدى والطرماح بن حكيم الطائى .

ويلاحظ أن القرشى قد سمى الطبقة الخامسة أصحاب المراثى ، وقد شذ بهذه التسمية عن منهجه فى تسمية سائر الطبقات لأنه اختار قصائد هذه الطبقة على أساس الموضوع الشعرى وهو الرثاء ولم يفعل هذا فى سائر الطبقات حيث كان تقسيمه على أساس المستوى الفنى .

---

(١) وهى التى شابها الكفر والاسلام وهم المخضرمون

(٢) أى الملتحمة فى نظمها

كما يلاحظ أن القرشى لم يبين لنا السبب الذى من أجله قدم طبقة على طبقة وهل هو التقدم فى الوجود ؟ أم الجودة الفنية ؟ كما لم يبين السبب فى ترتيب أفراد الطبقة الواحدة أو فى تقديم أحدهما على الآخر مما يوحى بأن قصائد كل طبقه عنده فى مستوى فنى واحد .

وعلى الرغم من الشك فى شخصية صاحب الجمهرة ، وعدم وضوح سيرته وتجاهل المؤرخين له فقد كان ذا عقلية منظمة حيث وضع لمجموعته مقدمة وقسمها تقسيماً منهجيا واضحا ووضع عنوانا لكل مجموعة مما يدل على دقته وجودة فهمه

هذا وقد طبعت الجمهرة لأول مرة فى مطبعة بولاق بمصر فى سنة ١٣١١هـ ثم تلتها مجموعة من الطبعات الأخرى فى مصر وبيروت وكانت آخر طبعاتها - فيما أعلم - فى سنة ١٩٦٧ بتحقيق الأستاذ/ على محمد البجاوى .

الفصل الثاني

مختارات الحماسة

أولا : حماسة أبي تمام :

تنسب هذه « الحماسة » إلى أبي تمام وهو حبيب بن أوس الطائى ولد سنة ١٩٢ هـ على أرجح الأقوال فى قرية قريبة من دمشق فى بلاد الشام .

وكما اختلف الرواة فى تاريخ مولده اختلفوا كذلك فى أصله حيث تضاربت الأقوال فى صحة نسبه إلى طيء .

فيقول بعضهم : إنه حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائى نسبة إلى طيء إحدى قبائل العرب العريقة[١] .

ويردد أبو تمام هذا النسب فى شعره ويتمسك به ويصر عليه ويفتخر به وبأبطال طيء جميعا .

وزعم قوم : أن أباه كان نصرانيا يسمى (تدوس) وأنه حرفه إلى (أوس) وانتسب فى طيء[٢] .

---

(١) الأغانى ١٦/٣٨٣ الأصفهانى

(٢) النجوم الزاهرة ٢/٢٦١

وعلى هذا سار (مرجليوث) فى ترجمته لأبى تمام فى دائرة المعارف الإسلامية حيث زعم أن اسم أبيـه (تدوس) وهو محرف عن (تيودس) .

وجاء طه حسين فاستنبج من ذلك أنه يونانى الأصل[1]

بينما ذهب (بروكلمان) إلى اسم (تدوس) يشيع بين نصارى السريان .

وأرى أن أبا تمام كان من طيء صليبة بدليل فخره بتلك القبيلة ومدحه لأبطالها أمثـال : محمد بن يوسف الثغرى الطائى والى أرمينيا وحارس الثغور الإسلامية .

ورثائه المؤثر لبطل من أبطال طيء هو : محمد بن حميد الطوسى ولكن الحاقدين والمستشرقين ، ومن يدور فى فلكهم ينكرون كل فضل للعرب ويشوهون تاريخهم ، ويحاولون تجريدهم من كل سبق وإبعاد أصحاب العقول الفذة عنهم كأبى تمام .

والمتتبع لحياة أبى تمام وسيرته يرى أنه بدأ حياته الأولى فى قرية جاسم بالقرب من دمشق فقيرا معدما ، مضيقا عليه فى الرزق ، وعندما شب ترك أهله ووطنه وهاجر إلى مصر وانتهى به المطاف إلى مسجد عمرو بن العاص

(١) العصر العباسى الأول ٢٦٩ د. شوقى ضيف

فى مدينة الفسطاط ، وكان العلماء يلقون فيه دروسهم على الطلاب فحمل أبو تمام جرة من الماء وأخذ يطوف بها على حلقات العلم وبين صفوف المصلين يسقيهم ماء باردا وينال على ذلك أجرا كفل له حياة مستقرة ، وكان يتمتع بذكاء حاد ورغبة أكيدة فى طلب العلم فكان يجلس أحيانا فى هذه الحلقات ويرهف سمعه إلى مايدور فيها من مناقشات حول الفلسفة والعلوم والآداب .

ولم يلبث أن هام بالشعر وقرضه ، وقد حسده بعض شعراء مصر على جودة شعره وشب الهجاء بينهما زمنا ولكن أبا تمام غلبه وأسكته .

ولم يستقر أبو تمام فى مصر بل رحل عنها وأخذ يطوف فى أرجاء العالم الإسلامى كما قال فى شعره :

وغربت حتى لم أجد ذكر مشرق … وشرقت حتى قد نسيت المغاربا

فذهب إلى بغداد ولمع نجمه فيها ، واتصل بكثير من كبار رجال الدولة وعظمائها وعلى رأسهم الخليفة المعتصم بالله فأقبلت عليه الدنيا وانساب عليه المال من كل صوب ولم يلبث أن لبى نداء ربه وهو فى قمة شبابه وشموخه وعطائه سنة ٢٣١ على أرجح الأقوال فرثاه كثير من الشعراء والأدباء فى عصره وفى مقدمتهم الحسن بن وهب الذى يقول فى رثائه :

فجع القريض بخاتم الشعراء … وغدير روضتها حبيب الطائى

ماتا معاً فتجاوروا فى حفرة　　وكذاك كانا قبل فى الأحياء(١)

أما شعره فقد كان يسمو فيه أحيانا حتى يبلغ غاية الإحسان والجودة ويهبط أحيانا حتى يصير رديئا مرذولا وله شعر وسط بين المنزلتين .

وقد امتاز جيده بالعمق فى المعانى والدقة فى التصوير والروعة فى الخيال والإكثار من السجع والجناس والمقابلة .

مع جزالة فى اللفظ وقوة فى النسج ، وفحولة فى التعبير .

ولكن شدة تعمقه فى المعنى ، وكلفه بالبديع ، ومزجه الفن بالفلسفة أدى إلى غموض شعره أحيانا .

ومهما يكن من أمر ، فقد ترك لنا أبو تمام ثروة شعرية ضخمة احتفظت بقيمتها وأهميتها على مدى العصور كما صنف خمسة كتب فى الشعر كان أبرزها ديوان الحماسة .

---

(١) أخبار أبى تمام للصولى ٢٧٧

ديوان الحماسة

تعد حماسة أبي تمام من الاختيارات الشعرية الموفقة التي تدل على ذوق رفيع ، وبصر بالشعر عجيب فقد نجح أبو تمام في اختيار عيون الشعر العربي وضمها في كتاب سماه (الحماسة) .

وكما ارتبطت مفضليات الضبي بقصة تشرح سبب تصنيفها كذلك ارتبطت حماسة أبي تمام بقصة مشابهة .

فقد ذكر التبريزي - أحد شراح الحماسة - أن أبا تمام قصد عبد الله ابن طاهر في خراسان فمدحه وكان عبد الله لا يجيز شاعراً إلاّ إذا رضيه أبو العميثل وأبو سعيد الضرير فقصدهما أبو تمام وأنشدهما قصيدته التي مطلعها .

أهن عوادي يوسف وصواحبه فعزماً فقدماً أدرك السؤل طالبه

فلما سمعا هذا الابتداء أسقطاها وكادا ينصرفان عنه فاستمهلها حتى بلغا قوله :

وركب كأطراف الأسنة عرسوا على مثلها والليل تسطو غياهبه
لأمر عليهم أن تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه

فاستحسناه . وعرضا القصيدة على عبد الله وقدرا جائزتها بألف دينار .

ثم قفل أبو تمام راجعا من خراسان يريد العراق فلما دخل همذان

استضافه أبو الوفاء بن سلمة وأكرمه ولكنه قبل أن يجد رحاله إلى بغداد وقع ثلج غزير قطع الطريق دون رحيله فاضطر إلى البقاء عند أبي الوفاء، ولكي لا يضجر من مقامه أحضر له أبو الوفاء خزانة كتبه وجعلها بين يديه وأخذ أبو تمام يطالع مافيها من شعر، وينتخب مايروقه منه ويدون مايختاره حتى اجتمع له من ذلك خمسة كتب في الشعر كان كتاب الحماسة إحداها[1].

ولكن على أي أساس تم اختيار أبي تمام لهذه الكتب.

يقول المرزوقي - أحد شراح الحماسة - إنه لم يعمد من الشعراء إلى المشهورين منهم دون الأغفال، ولا من الشعر إلى المتردد في الأفواه المجيب لكل داع، فكان أمره أقرب بل اعتسف في دواوين الشعراء جاهليهم ومخضرميهم وإسلاميهم ومولدهم، واختطف منها الأرواح دون الأشباح واخترف الأثمار دون الأكمام، وجمع مايوافق نظامه ويخالفه لأن ضروب الاختيار لم تخف عليه، وطرق الإحسان لم تستتر عنه حتى إنك تراه ينتهي إلى البيت الجيد، فيه لفظة تشينه فيجبر نقيصته من عنده، ويبدل الكلمة بأختها في نقده[2].

ويتضح من كلام المرزوقي أمران:

---

(١) انظر شرح ديوان الحماسة ١ : ٣ شرح التبريزي

(٢) شرح حماسة أبي تمام ١٤ شرح المرزوقي

الأول : أنه كان يختار الشعر الجيد الذى يروقه بصرف النظر عن شهرة صاحبه .

والثانى : أنه كان يستخرج من القصيدة أروع ما فيها فإذا صادف كلمة قلقة استبدل بها غيرها حتى يستوفى الكلام عناصر الحسن اللائقة به .

وقد نتج عن ذلك كله أن جاءت مختارات الحماسة مقطعات لا قصائد كاملة كما كان عليه الحال فى المفضليات فأطول مختارة فى حماسة أبى تمام لا تزيد على خمسة وعشرين بيتا وأغلب مختاراته دون ذلك فى العدد حتى إن بعضها قد تكون فى بعض الأحيان بيتا واحدا .

كما نتج عن ذلك أيضا ورود كثير من مقطعات الحماسة لشعراء مغمورين لم يكن اسمهم متداولا فى المحافل الأدبية فى عصر أبى تمام ، بل إنه كان يختار — أحيانا — أبياتا لشعراء لم يذكر اسمهم مما يدل على أنه كان يركز على الشعر الجيد من حيث هو بصرف النظر عن قائله .

وحماسة أبى تمام موزعة على عشرة أبواب أكبرها باب الحماسة وبه سماها وهى مقطوعات لشعراء جاهليين وإسلاميين وعباسيين .

أما الأبواب الأخرى فهى فى المراثى والأدب — بمعنى السلوك والتربية — ثم النسيب والهجاء والأضياف والمديح والصفات والسير والنعاس والملح ومذمة النساء .

أما فيما يتعلق بتسمية الديوان كله بكتاب الحماسة — وهو الباب الأول

من الكتاب ، فيبدو أن أبا تمام قد جرى فى هذا على تقليد ، وكما يقول محققا شرح المرزوقى للديوان :

يظهر أن العادة نشت أولاً فى أن يسمى الكل باسم أى جزء حتى تسمية سور القرآن فسميت سورة البقرة لآية فيها فى البقرة وسورة الأنعام كذلك وسورة النمل أيضا ثم نشت عادة تسمية الشىء بأوله فسمى العين للخليل لأن أول أبوابه باب العين وسمي أبو تمام ديوانه بالحماسة كذلك[1] .

وقد بدأ أبو تمام اختياراته الحماسية بمقطوعة حماسية لأحد شعراء بنى العنبر تعد من أروع ماقيل فى الأدب العربى فى هذا الباب من حيث إثارتها للنخوة وشحذها للهمم يقول فيها :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلى	بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
إذن لقام بنصرى معشر خشن	عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا
قوم إذا الشر أبدى ناجزيه لهم	طاروا إليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم	فى النائبات على ماقال برهانا
لكن قومى وإن كانوا ذوى عدد	ليسوا من الشر فى شىء وإن هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة	ومن إساءة أهل السوء إحسانا
كأن ربك لم يخلق لخشيته	سواهم من جميع الناس إنسانا

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ص ٣ من المقدمة .

وهذه المقطوعة تدل على ذوق أبي تمام الرفيع ، وحسن فهمه للشعر ودقته المتناهية في الاختيار ومن أجل ذلك نرى التبريزي ينسب إلى أحد المتأدبين قوله : إن أبا تمام في اختياره كان أشعر منه في شعره[1] .

وليس بصحيح ما ذكره (بروكلمان) من أن أبا تمام قصر اختياره في حماسته على الشعراء الجاهليين والإسلاميين ، لأن المتأمل في باب الحماسة يجد فيه مقطوعات لشعراء جاهليين وإسلاميين وأمويين وعباسيين أمثال مسلم بن الوليد وأبي نواس وأبي العتاهية وأبي الشيص ومنصور النمري وغيرهم .

ومهما يكن من أمر فقد كان أبو تمام رائدا في هذه الحماسة وهو بعمله هذا شجع الكثيرين على أن يصنفوا حماسات على غرارها كالبحتري وأحمد بن فارس والزوزني والخالديين وابن الشجري والحماسة المغربية والحماسة البصرية وحماسة العبيدي .

وبعض هؤلاء قد اعترف بتأثره بأبي تمام في حماسته يقول : أبو الحجاج جمال الدين يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الأندلسي صاحب الحماسة المغربية .

فلم أجد أقرب تبويب ولا أحسن ترتيب مما بوبه ورتبه أبو تمام حبيب ابن أوس رحمه الله تعالى في كتابه المعروف بكتاب الحماسة ، وحسن

---

(١) حماسة ١/١٩٠ شرح التبريزي .

الاقتداء والتوخي بمذهبه لتقدمه في هذه الصناعة فاتبعت في ذلك مذهبه ونزعت منزعه[١].

هذا وقد نالت حماسة أبي تمام من اهتمام الرواة والشراح أكثر مما ناله شعره ، فقد شرحها عدد كبير من العلماء وأهل اللغة ومن أشهرهم : أبو بكر الصولي المتوفى سنة ٣٣٥هـ .

وأبو القاسم الآمدي المتوفى سنة ٣٧١هـ

وأبو الفتح ابن جني المتوفى سنة ٣٩٢هـ

وأبو هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥هـ وأبو علي المرزوقي المتوفى سنة ٤٢١هـ وأبو العلا المعري المتوفى سنة ٤٤٩هـ وأبو الحسن علي بن سيده المتوفى سنة ٤٥٨هـ وأبو الفضل الميكالي المتوفى سنة ٤٧٥هـ وأبو زكريا يحيى بن علي التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢هـ وأبو المحاسن مسعود بن علي البيهقي المتوفى سنة ٥٤٤هـ وأبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري المتوفى سنة ٦١٦هـ .

ومن أفضل الشروح التي بين أيدينا اليوم شرحان : شرح المرزوقي وشرح التبريزي وكلاهما من الإتقان والإحاطة بمكان ، وقد كتب كل

---

(١) انظر تقديم الحماسة الشجرية بقلم عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي .

منهما مقدمة نفيسة لشرحه — وإن كان شرح التبريزى يتسم بالاهتمام اللغوى والقضايا النحوية ، وشرح المرزوقى يهتم بالتناول الأدبى والتذوق الفنى ، ووضع المعنى الشارد بين يدى القارىء فى يسر وسهولة[1] .

ومهما يكن من شىء فإن حماسة أبى تمام تعد من عيون الشعر العربى القديم ، كما تعد من أفضل الاختيارات الشعرية .

ولا غرابة فى ذلك فقد أجمع المصنفون على علم أبى تمام بالشعر ، وخبرته بنقده ، حتى قال عنه الحسن بن رجاء .

ما رأيت أحدا قط أعلم بجيد الشعر قديمه وجديده من أبى تمام .

---

(١) مناهج التأليف ٤٩٥ د . الشكعة

ثانياً : حماسة « البحترى »

تنسب هذه الحماسة إلى البحترى الوليد بن عبيد الطائى نسبة إلى عشيرته الطائية بحتر .

ولد بقرية (منبج) إلى الشمال الشرقى من مدينة حلب سنة ٢٠٤هـ

وقد اختلف إلى الكتاب وهو صبى ، فحفظ القرآن الكريم كما حفظ كثيرا من الأشعار والخطب ثم مالبث أن تردد على حلقات العلماء فى المساجد يأخذ عنهم اللغة والنحو وشيئا من الفقه والتفسير والحديث وعلم الكلام ومالبث أن تفجرت شاعريته فأخذ يمدح كبراء بلدته ثم تجاوزها إلى حلب ثم حمص وهناك فى حمص تعرف على أبى تمام وعرض عليه شعره فاستحسنه أبو تمام وقال له : أنت أشعر من قابلنى فكيف حالك ؟ فشكا إليه بؤسه وفقره وسوء حاله فأرسله أبو تمـــام إلى أهل « معرة النعمان » .

وأرسل معه إليهم خطابا يقول فيه « يصل كتابى هذا مع الوليد أبى عبادة الطائى وهو على بذاذته ـ سوء حاله ـ فأكرموه » فاستقبلوه استقبالا حسينا ووظفوا له أربعة آلاف درهم[1] .

ومنذ ذلك الحين أخذت علاقته تتوطد بأبى تمام وظل يلازمه ،

---

(١) اخبار البحترى ٦٠ الصولى

ويأخذ عنه . وأخذ أبو تمام يتعهده بالرعاية ويزوده بالنصائح ويعرفه أصول الفن ويوصله بالعظماء والكبراء .

وقد اعترف البحترى بفضل أستاذه عليه إذ يقول : كنت فى حداثتى أروم الشعر ، وكنت أرجع إلى طبع ، ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه حتى قصدت أبا تمام فانقطعت فيه إليه ، واتكلت فى تعريفه عليه ، فكان أول ماقال لى : يا أبا عبادة تخير الأوقات وأنت قليل الهموم ، صفر من الغموم ، واعلم أن العادة فى الأوقات أن يقصد الإنسان لتأليف شىء أو حفظه فى وقت السحر ، وذلك أن النفس قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم .

فإذا أردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقا ، والمعنى رشيقا ، وأكثر فيه من بيان الصبابة ، وتوجع الكآبة ، وقلق الأشواق ، ولوعة الفراق .

وإذا أخذت فى مدح سيد ذى أياد فاشهر مناقبه وأظهر مناسبه وشرف مقامه ، وتقاض المعانى واحذر المجهول منها .

وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ الزرية ، وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الأجسام .

وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك . ولا تعمل إلا وأنت فارغ القلب واجعل شهوتك إلى قول الشعر الذريعة إلى حسن نظمه ، فإن الشهوة نعم المعين . وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين ،

فما استحسنه العلماء فاقصده ، وما تركوه فاجتنبه ترشد إن شاء الله تعالى[١] .

وقد توفى البحترى سنة ٢٨٤هـ[٢] .

أما شعره فيتميز ألفاظه بقوة السبك ، وحلاوة النغم وعذوبة الكلمات ، كما تمتاز معانيه بالسهولة والوضوح ، وعدم التعقيد والغموض .

وقد وازن الآمدى بين شعره وشعر أستاذه أبى تمام ولم يفضل أحدهما على الآخر تفضيلا مطلقا ، وإنما ذهب إلى أن أهل المعانى ، وأصحاب الصنعة ومن يميل إلى التدقيق يفضلون أبا تمام لدقة معانيه وكثرة مايورد مما يحتاج إلى استنباط وشرح واستخراج .

وأهل الطبع ، وأصحاب اللفظ يفضلون البحترى لحلاوة النفس ، وحسن التخلص ، ووضع الكلام فى مواضعه وصحة العبارة وقرب المأتى وانكشاف المعنى[٣] .

ومهما يكن من شىء فإن شعر البحترى يمتاز بالخلاصة والعذوبة وسهولة المعنى والبعد عن التكلف والاستكراه ولذلك يفضله الكتاب والأعراب وأهل البلاغة والشعراء المطبوعون .

---

(١) زهر الآداب ١٠١/١ الحصرى

(٢) انظر ترجمة البحترى فى الأغانى ١٦٧/١٨ وطبقات ابن المعتز ٣٩٤

(٣) انظر الموازنة بين الطائيين ص٣ وما بعدها للامدى

أما شعر أبى تمام فيمتاز بالدقة فى اللفظ والعمق فى المعنى والمزج بين الفن والفلسفة والميل إلى الغموض ، ولذلك يفضله أهل المعانى وأصحاب الصنعة ومن يميل إلى التدقيق وفلسفى الكلام .

٢ – كتاب الحماسة :

ذكرنا أن البحترى كان تلميذا لأبى تمام وأنه كان يقلده ويحفظ وصاياه ويعترف بفضله وذلك على الرغم من اختلافهما فى المذهب الشعرى .

ولما رأى أن أبا تمام قد ألف ديوان الحماسة وأن ديوانه هذا قد طارت شهرته فى الآفاق قرر أن يقلده فى هذا وأن يختار مجموعات شعرية من عيون الشعر العربى كما فعل أبو تمام وأطلق عليها أيضا (الحماسة)

ويبدو أن حماسة البحترى لم تصادف النجاح الذى حظيت به حماسة أبى تمام ولذلك يذكر البغدادى فى خزانته أنه لم يسمع أن للبحترى حماسه ومن جهة أخرى بدأ منهج البحترى فى حماسته متقدما على روح التصنيف فى زمانه[1] .

وليس معنى هذا نفى نسبة هذه الحماسة إلى البحترى لأن عدم سماع البغدادى عنها لا ينفى كونها له ولكنه يدل على أنها لم تكن مشهورة فى زمن البغدادى .

---

(١) مصادر التراث العربى ٧٠ د. عمر الدقاق

وإذا كان أبو تمام قد استهل حماسته بقول أحد شعراء بنى العنبر :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلى   بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

فإن البحترى يستهل حماسته بأبيات لعمرو بن الإطنابة الخزرجى يقول فيها :

أبت لى عفتى وأبى إبائى   وأخذى الحمد بالثمن الربيح
وإعطائى على المكروه مالى   وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت   مكانك تحمدى أو تستريحى
وأدفع عن مكارم صالحات   فأحمى بعد عن عرض صحيح

وهى أبيات ربما فاقت فى حماستها أبيات العنبرى التى استهل بها أبو تمام حماسته .

ويروى أن معاوية بن أبى سفيان قال :

لقد وضعت رجلى فى الركاب يوم صفين ، وهممت بالفرار فما منعنى إلا قول ابن الإطنابة[1] :

أبت لى عفتى وأبى إبائى   وأخذى الحمد بالثمن الربيح

وذكر الأبيات :

---

(١) انظر مناهج التأليف عند العلماء العرب ٤٩٨ د/ الشكعة

منهج البحترى فى حماسته

١ — إذا كان أبو تمام قد قسم حماسته إلى عشرة أبواب فقد قسم البحترى حماسته إلى مائة وأربعة وسبعين بابا، ولكن تسمية البحترى لأبوابه أبوابا فيه كثير من التجوز .

٢ — عمد البحترى فى حماسته إلى الإكثار من وضع عناوين لأبواب حماسياته ليعين القارىء على الانتفاع بهذه المختارات وييسر له سبل الحصول عليها .

٣ — جعل البحترى الأخلاق والتربية هدفين من أهدافه فى جميع اختياراته فقد خلت مختاراته — تقريبا — من الشعر الماجن الذى يخدش الحياء كما فعل أبو تمام فى بعض مختاراته .

وقد أكثر البحترى من الأبواب التى تحض على مكارم الأخلاق وتجنب المسلم التردى فى مهاوى الانحطاط . وإن نظرة واحدة إلى عناوين أبوابه تؤكد لنا ذلك ومن تلك العناوين : « ماقيل فى إخلاف الوعد » و « ماقيل فى رعاية الأمانة وترك الخيانة » و « ماقيل فى ذم عاقبة البغى والظلم » والأمثلة على ذلك كثيرة .

٤ — خص البحترى المرأة العربية بباب طويل هو الباب الأخير من حماسته وهو « فيما قيل فى مختار أشعار لجماعة من النساء فى المراثى » مقلدا فى ذلك أبا تمام الذى جعل (المراثى) بابا مستقلا ولكن أبا تمام

لم يجعل بابه مقصوراً على ماقالته النساء في الرثاء كما فعل البحترى .

• — وعلى الرغم من أن حماسة البحترى أضخم من حماسة أبى تمام فقد انتهى باختياراته حتى مخضرمى الدولتين : الأموية والعباسية أمثال مطيع بن إياس وصالح بن عبد القدوس على حين تجاوز أبو تمام هذا الزمان وأكثر من الاختيار للشعراء المعاصرين له[1] .

وعلى الرغم من قيمة هذه الحماسة وضخامتها لم يقدر لها أن تلقى الرواج قديما ، وأن تحظى بعناية الشراح والمعنيين على غرار حماسة أبى تمام ، وكان من الممكن أن تضيع نهائيا كما ضاع غيرها من كتب التراث ، لولا أن الحظ أسعد المستشرق الهولندى « فارنر » فى منتصف القرن السابع عشر فى العثور على نسخة منها فى القسطنطينية فنقلها ضمن عدد آخر من المخطوطات النادرة إلى جامعة ليدن .

وعنها أخذ القس « لويس شيخو » النسخة التى نشرها فى بيروت للمرة الأولى فى سنة ١٩١٠م ثم طبعت طبعة أخرى فى مصر سنة ١٩٢٩م بتحقيق كمال مصطفى وفيها نقص عن الطبعة السابقة ، ثم صدرت أخيرا الطبعة الثانية لطبعة لويس شيخو عن دار الكتاب العربى فى بيروت فى سنة ١٩٦٧م .

---

(١) انظر مناهج التاليف ٣٩٨ ومابعدها د/ الشكعة

وقد نقحت وزيد بها فهارس للشعراء وتعليقات وإن كانت ماتزال تفتقر إلى الشرح[١] .

ومهما يكن : فقد كان البحترى مقلدا فى حماسته لأبى تمام ولا غرابة فى ذلك فقد كان أبو تمام أستاذه الذى علمه الشعر وبين له أصوله وفنونه وليس معنى هذا أن البحترى قد ذابت شخصيته فى تقليد أستاذه بل كان على العكس من ذلك صاحب طريقة مميزة فى شعره خالف بها أستاذه ، وصاحب منهج فى حماسته إختلف به عنه فجاءت حماسته أكثر أبوابا وأعظم حجما وأدق منهجا من حماسة أبى تمام ، ولكنها على الرغم من ذلك كله لم تحظ بالشهرة التى حظيت بها حماسة أبى تمام ولم تلق اهتماما من الشراح والمحققين كما لقيت حماسة أبى تمام!

---

(١) المصادر الادبية واللغوية ص٤٠ د/ عز الدين اسماعيل

ثالثا : الحماسة الشجرية

تنسب هذه الحماسة إلى الشريف ضياء الدين أبى السعادات هبة الله بن على بن محمد بن حمزة بن على بن عبد الله بن أبى الحسن وينتهى نسبه إلى الامام على كرم الله وجهه وهو يعرف بابن الشجرى نسبة إلى الشجرة وهى قرية من قرى المدينة المنورة .

ولد فى منتصف القرن الخامس الهجرى وتوفى سنة ٥٤٢هـ كان - رحمه الله - عالما من علماء اللغة والأدب ناظما للشعر ناقدا له راويا للأحاديث والمغازى وقد أثنى عليه كل من ترجم له من القدماء .

وله من المؤلفات : كتاب الأمالى ، وكتاب الانتصار ، وشرح التصريف الملوكى وشرح اللمع فى النحو ، وكتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه ثم ديوان مختارات أشعار العرب وهو غير مختارات الحماسة التى نحن بصدد دراستها .

وتعد حماسة ابن الشجرى امتدادا لسلسلة كتب الحماسة التى بدأها أبو تمام ثم البحترى .

ولا شك أن ابن الشجرى قد اطلع على مختارات أبى تمام والبحترى وتأثر بهما وذلك واضح فى حماسته .

أما أنه تأثر بأبى تمام فذلك واضح من تقسيم حماسته إلى أبواب على غرار ما فعل أبو تمام يضم كل باب منها ما قيل فى فن من فنون الشعر العربى على غرار ما فعل أبو تمام .

وعلى الرغم من ذلك فإنه يخالف أبا تمام فى أمور :

١ ـ فى عدد : الأبواب فهى عند ابن الشجرى تسعة فى حين كانت عند أبى تمام عشرة ؛ ذلك أن ابن الشجرى أسقط من حماسته باب « السير والنعاس » .

٢ ـ يوجد فى حماسة أبى تمام باب « مذمة النساء » ولا وجود لذلك الباب فى حماسة ابن الشجرى وإنما أحل محله باب آخر هو « اللوم والعتاب » .

٣ ـ استهل أبو تمــام حماسته بباب الحماسة وهو أكبر أبوابها أما ابن الشجرى فقد استهل حماسته بباب « الشدة والشجاعة » .

٤ ـ خصص أبو تمام الباب السابع من حماسته « للصفات » على حين جعل ابن الشجرى الباب الثامن « للصفات والتشبيهات »

وأما تأثره بالبحترى فذلك واضح فى أنه لم يسم بابا باسم الحماسة ثم يطلق اسمه على سائر المختارات كما فعل أبو تمام ، وإنما يطلق لفظ الحماسة على مختاراته كلها كما فعل البحترى .

وقد اختار ابن الشجرى فى حماسته لثلاثمائة وخمسة وستين شاعرا ذكر أسماءهم ـ وبالنظر فى التوزيع التاريخى لهذه الأسماء يتبين لنا أن ابن الشجرى حذا حذو أبى تمام فى الامتداد بمختاراته إلى المحدثين ، ولأنه عاش مايقرب من نصف عمره فى القرن السادس الهجرى فقد امتد فى هذا الاختيار إلى بعض معاصريه . ومن ثم يمكننا إحصاء مالايقل

عن ثلاثين شاعراً عباسياً فى حماسته وكذلك تضمنت مختاراته كثيراً من أشعار النساء فى الرثاء والمدح والغزل .

أما النماذج المختارة فقد بلغ مجموعها أربعة وأربعين وخمسمائة نموذج[1] .

ولأن ابن الشجرى كان على علم بالأخبار فقد كان يذكر فى كثير من مختاراته الحماسية المناسبة التى قيلت فيها .

مثال ذلك قوله فى باب النسيب روى ابن دريد قال : أخبرنا الرياشى عن الأصمعى قال : حدثنى منتجع بن نبهان قال : أخبرنى رجل من بنى الصيداء من أهل الصرم قال : كنت أهوى جارية من باهلة فأخفى قومها وأخذوا على المسالك فخرجت ذات يوم فإذا حمامات يسجعن فى أغصان أيكات ، متناوحات فى مرارة واد ، فاستفزنى الشوق فبكيت وأنا أقول :

دعت فوق أغصان من الأيك غدوة مطوقة ورقاء فى إثر آلف

فهاجت عقابيل الهوى إذ ترنمت

وشبت ضرام الشوق بين الشراسف

بكت بجفون دمعها غير ذارف فأغرت جفونى بالدموع الذوارف

ثم سرت فأتيت أرضها فآوانى الليل إلى حى فخفت أن يكونوا من

---

(١) المصادر الأدبية واللغوية ص ١٠٣ د/ عز الدين إسماعيل

قومها فوت في القفر ، فلما هدأت الرجل ورنقت فى عيني سنة إذا قائل يقول :

تمتع من شميم عـرار نجد ... فـا بعد العشية من عرار

فتفاءلت — علم الله — ثم غلبتنى عيناى فإذا آخر يقول :

ولا مىّ بعداليوم إلا تعلة ... من الطيف أو تلقى لها منزلا قفرا

فزادنى ذلك قلقا فنمت فإذا ثالث يقول :

لن يلبث القرناء أن يتفرقوا ... ليل يكر عليهم ونهار

فقمت وركبت ناقتى متنكبا الطريق فلما برق الفجر إذا راع مع الشروق قد سرح غنما وهو يتمثل :

كفى بالليالى مخلقات لجدة ... وبالموت قطاعا حبال القرائن

فأظلمت على الأرض فتأملته فعرفته فقلت : فلان فقال : فلان قلت : ماوراءك ؟ قال : ضاجعت والله رملة الثرى — فما تمالكت أن سقطت عن بعيرى فما أفقت حتى حميت على الشمس فاستيقظت وقد عقل الغلاء ناقتى ومضى . فكررت وأنا أقول :

ياراعى الضأن قد أبقيت لى كمدا ... يبقى ويتلفنى ياراعى الضأن

نعيت نفسى إلى نفسى فكيف إذن ... أبقى ونفسى فى أثناء أكفان(١)

---

(١) انظر الحماسة الشجرية ١/٥٠٤ ومابعدها

ونظراً لتأخر ابن الشجرى عن أبى تمام والبحترى فقد كان متأثراً ببعض الأفكار البلاغية والنقدية التى سادت عصره ومن أمثلة ذلك موضوع السرقات الشعرية حيث كان يورد أحيانا حماسية ثم يتبعها بأخرى أخذت عنها كقوله[1] :

وقال القاسم بن أمية بن أبى الصلت الثقفى :

ولقد بلوت الناس ثم خبرتهم   فوجدت أكرمهم بنى الديان
قوم إذا نزل الغريب بدارهم   جعلوه رب صواهل وقيان
وإذا دعوتهم ليوم كريهة   سدوا شعاع الشمس بالمران
لاينكتون الأرض عند سؤالهم   لتطلب العلات بالعيدان
بل يبسطون وجوههم فترى لها   عند اللقاء كأحسن الألوان

أتبعه سلم الخاسر فى قوله : لاينكتون الأرض فقال :

إذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة   رأيت بها عشب المكارم ينبت
وليس بسعال إذا سيل حاجة   ولا بمكب فى ثرى الأرض ينكت

وقال بشار:

إذا ادخر المال البخيل فإنما   ذخائرهم خطيه ودروع
وبيض بها مسك لمس أكفهم   على أنها ريح الدماء تضوع

---

(١) الحماسة الشجرية ٢/٢٧٥

أخذه ابن المعتز فقال :

ملوك إذا خاضوا الوغى فسيوفهم مقابضها مسك ومأثرها دم[1]

هذا وقد طبعت الحماسة الشجرية طبعتين :

الأولى : بعناية المستشرق الألماني : فريتس كرنكو عن أصول خطية لها في المتحف البريطاني .

والثانية : قد صدرت في دمشق ضمن منشورات وزارة الثقافة بتحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي في سنة ١٩٧٠ عن مخطوطة بدار الكتب الوطنية الظاهرية .

وقد اشتملت هذه الطبعة على تخريج للشعر وضبط له مع شرح للغريب كما ألحقت بها فهارس متنوعة ومفيدة[2] .

ومهما يكن من شيء فقد أضاف ابن الشجري بعمله هذا لبنة في بناء صرح هذه المختارات التي تعد مصدرا للشعر العربي في عصوره الزاهرة ولولاها لضاع جزء من ذلك التراث الثمين الذي لا يستغنى عنه باحث ولا أديب .

ومع تأثره الواضح بكل من أبي تمام والبحتري إلا أن له إضافات لاتنكر .

---

(١) الحماسة الشجرية ١/٣٩٤

(٢) مصادر التراث الأدبي واللغوي ١١٣ عز الدين إسماعيل

رابعا : الحماسة البصرية

صاحب هذه الحماسة هو : صدر الدين على بن أبى الفرج بن الحسن البصرى .

ولم تذكر المراجع شيئا عن تاريخ مولده أو نشأته ، ولكن يفهم من الذين ترجموا له أنه بصرى المولد ، وأنه انتقل إلى حلب وعاش فيها فى ظلال الملك الناصر أبى المظفر يوسف بن الملك العزيز بن الملك الظاهر أمير حلب .

وأغلب الظن أنه كان واحدا من العلماء والأدباء الذين قتلوا مع الملك الناصر وحشمه حينما هجم « هولاكو » على مدينـــة حلب سنة ٦٥٩هـ .

وقد سكتت المراجع وكتب الطبقات والتراجم فلم تذكر شيئا ذا بال عن حياة المؤلف وبيان أحواله وآثاره - مع أنها قد ذكرت - بإسهاب من هم أقل منه شأنا ، وأدنى مرتبة .

والدلالات تشير إلى أن المؤلف قد احتل مكانة مرموقة فى عصره حيث كانت تربطه صلات حميمة بالحكام والعلماء والوجهاء فى ذلك الحين أمثال : أبو المظفر يوسف أمير حلب ، والظاهر بيبرس ملك مصر والوزير مؤيد الدين إبراهيم بن القفطى . ثم كانت له علاقات حميمة مع

كبار العلماء كابن النديم وكمال الدين بن طلحة وابن مالك النحوى وابن عمرون وغيرهم[١].

حتى المؤلفين الذين جاؤوا من بعده لم يلتفتوا إليه ولم يكتبوا عنه شيئا ذا بال أمثال: ابن خلكان وقطب الدين اليونيني.

وعلى الرغم من ذلك فقد ذكرت بعض المصادر أن له مصنفين: أحدهما «المناقب العباسية والمناقب المستنصرية» والآخر هو: «الحماسة البصرية»[٢].

وقد صنف البصرى حماسته فى حلب حيث قضى المؤلف أمداً بعيداً فى ملازمة صلاح الدين أبى المظفر يوسف بن الملك العزيز بن الملك الظاهر ٦٢٧ - ٦٥٩هـ - وهذا هو الزمن الذى رتب فيه المؤلف حماسته[٣].

وقد أهدى هذه الحماسة إلى الملك أبى المظفر يوسف كما صرح بذلك فى مقدمته حيث يقول:

ولما كانت الجاميع الشعرية صقال الأذهان، ولأنواع المعانى كالترجمان وكان مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين ناصر الإسلام والمسلمين أبو المظفر يوسف ابن الملك العزيز بن الملك الظاهر لازال نافذ الأوامر

---

(١) الحماسة البصرية مقدمة التحقيق ٢٣
(٢) المرجع السابق ٢٣ وما بعدها
(٣) المرجع السابق

لهجا بأشعار العرب التي هي ديوان الأدب توخيت في تحرير مجموع محتو على قلائد أشعارهم وغرر أخبارهم مجتنبا للاطالة والإطناب بما تضمنته أبواب الكتاب [1] .

وقد صنف البصري في اثنى عشر بابا هي :

(باب الحماسة) و (باب المديح والتقريظ) و (باب الرثاء والتأبين) و (باب الأدب) و (باب النسيب والغزل) و (باب الأضياف) و (باب الهجاء) و (باب مذمة النساء) و (باب الصفات والنعوت) و (باب السير والنعاس) و (باب الملح والمجون) وباب ماجاء في أكاذيبهم وخرافاتهم و (باب ملح الترقيص) ثم باب (الإنابة والزهد) وأطول هذه الأبواب باب يليه باب الحماسة .

وتعد (الحماسة البصرية) امتدادا لهذه السلسلة التي بدأها أبو تمام وواضح أنه تأثر به أكثر من غيره كما تأثر بحماسة البحتري وحماسة ابن الشجري .

ومن المصادر الأخرى التي تأثر بها وأخذ منها كتاب (الحيوان) للجاحظ (وزهر الآداب) للحصري ، وكتاب (المعاني) لأبي هلال العسكري .

ويؤخذ على الحماسة البصرية أشياء منها :

---

(١) مقدمة الحماسة البصرية ص٢ للمؤلف

١ ـ أن المؤلف كان يخطىء أحيانا في نسبة الشاعر إلى قبيلته فقد ذكر أن الحارث بن عباد عبسي والصحيح أنه بكري . كما ذكر أن أعشى ميمون من باهلة والصحيح أن أعشى باهلة شاعر آخر اسمه عامر بن الحارث وكنيته أبو قحافة .

٢ ـ أنه كان يخطىء كذلك في أسماء بعض الشعراء حيث ذكر أن المتوكل الليثي اسمه عبد الله بن نهشل والصحيح أن عبد الله اسم والده .

وقال عن الأحوص اليربوعي إنه ابن زيد .

والصحيح أن زيدا اسم الشاعر نفسه وأن أباه اسمه عمرو .

وقد أشار محقق حماسته إلى أنه قد أخطأ خطأ فاحشا حين ذكر في القطعة الرائية لطريف العبسي أن قائلها يرثي أباه والواقع أنه يرثي ابنه بدليل قوله :

وكنت به أكنى فأصبحت كلما

كنيت به فاضت دموعي على نحري[1]

٣ ـ أن المؤلف كان يخطىء كذلك في الزمن حيث ذكر أن قيس ابن الحطيم ـ وهو شاعر مخضرم . جاهلي مرة ، وأموي أخرى .

---

(١) انظر الحماسة البصرية بتحقيق المحقق ٣٤

كما يذكر : أن الكميت بن معروف أموى والحقيقة أنه مخضرم.

وقد ذكرت أن المؤلف قد تأثر بأبى تمام والدليل على ذلك أنه بدأ حماسته بباب الحماسة ثم أطلق اسم ذلك الباب على مختاراته كما فعل أبو تمام كما تأثر بالبحترى حيث بدأ حماسته بمقطوعة حماسية لعمرو بن الإطنابة وهى قوله :

أبت لى همتى وأبى بلائى وأخذى الحمد بالثمن الربيح
وإقدامى على المكروه نفسى وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى أو تستريحى[1]

وهى نفس الأبيات التى بدأ بها البحترى حماسته .

ومن مظاهر تأثره بالبحترى كذلك أنه كان يحاول فى داخل الباب الواحد إيراد عدد من النماذج الشعرية التى تصور معنى جزئيا من المعانى التى تتصل بهذا الباب ومثال هذا ما أورده فى الحماسيات الثانية والثالثة والرابعة من باب الأدب حيث يقول :

وقال الأعور السنى :

وهون عليك فإن الأمو ر بكف الإله مقاديرها
فليس بآتيك منهيهـا ولا قاصر عنك مأمورها

---

(١) الحماسة البصرية ١/٤ للمؤلف

وقال آخر :

لا تيأسن وإن طالت مطالبة ... إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

وقال أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم :

لا تيأسن إذا ماضقت من فرج ... يأتى به الله فى الروحات والدلج
فما تجرع كأس الصبر معتصم ... بالله إلا أتاه الله بالفرج[1]

ومهما أخذ على البصرى من مآخذ فقد خلف لنا قدرا هائلا من أشعار الجاهليين ، والإسلاميين والأمويين والعباسيين حتى العصر الذى عاش فيه المؤلف .

وكما أهمل المؤلفون صاحب الحماسة فقد كان حظ حماسته لا يقل سوءا عن حظ صاحبها فلم تر النور إلا على يد الدكتور / مختار الدين أحمد الهندى الذى حققها وأصدرتها دائرة المعارف فى حيدر أباد بالهند سنة ١٩٦٤م ومازالت فى حاجة إلى المزيد من عناية الباحثين والمحققين .

---

(١) الحماسة البصرية ١/٢٣٣

الفصل الثالث

كتب الطبقات

أولا: طبقات الشعراء «للجمحى» :

فى أواخر القرن الثانى للهجرة كانت الحاجة ماسة إلى التدوين فى النقد الأدبى كما كانت ماسة إلى تدوين الأدب .

وأول شيء عمله ابن سلام وعمله المؤلفون من النقاد هو جمع ما قاله الأدباء والعلماء فى نقد الشعر وفى الكلام على الشعراء ، وهذه الأفكار السابقة هى نواة كتاب ابن سلام ونواة كثير من كتب النقد التى ألفت بعده ولكن المؤلفين محصوها وزادوا فيها وقربوها من روح العلم .

وإذا كان الأدباء قد اكتفوا بملحوظات فى النقد ، واللغويون قد تعمقوا فى الفهم وفى التعليل ، فإن ابن سلام قد درس الأدب وبحث المسائل الأدبيـــة بحث عالم متأثر بروح عصره فى الاستيعاب والشرح والتحليل وذكر الأسباب والمسببات[1] .

فمن ابن سلام صاحب الطبقات ؟

هو أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبدالله بن سالم الجمحى ، ولد بالبصرة

---

(١) انظر تقديم طبقات والشعراء ١٥ تحقيق طه أحمد إبراهيم ط . بيروت

حوالى سنة ١٣٩هـ ونشأ فى بغداد وعاش بها حتى توفى سنة ٢٣٢هـ على أرجح الأقوال .

نشأ ابن سلام فى بيت يهتم بالأدب وروايته فأبوه سلام بن عبد الله كان راوية للشعر ، وقد روى عنه ابن سلام - فى مواضع كثيرة - من كتابه .

وتلقى العلم على أيدى جماعة من كبار علماء عصره أمثال : حماد بن سلمة وخلف الأحمر ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى والمفضل الضبى ، ويونس بن حبيب ، وأبو زيد الأنصارى وأبان بن عثمان وغيرهم .

أما تلاميذه الذين أخذوا عنه فهم كثيرون أيضا منهم الإمام أحمد بن حنبل ، وأحمد بن يحيى المعروف بثعلب والمازنى والرياشى وأبو خليفة الجمحى ابن أخت ابن سلام وهو الذى روى عنه كتاب الطبقات .

ومعنى هذا أننا أمام رجل قد تنوعت ثقافته وتعددت معارفه ، حتى ذكره ابن الأنبارى فى جملة أهل الأدب ، وجعله الزبيدى فى الطبقة الخامسة من اللغويين ، وفوق ذلك فهو أيضا من علماء النحو أخذه عن أستاذه حماد بن سلمه . هذا بالإضافة إلى أنه واحد من كبار النقاد فى زمانه .

وكتاب « طبقات الشعراء » هو أول كتاب فى النقد الأدبى يصل إلينا كاملا ، وقد حاول فيه ابن سلام أن يصنف الشعراء ، وأن يضعهم فى مراتب أو طبقات وفقا لمقاييس نقدية معينة ولذلك فقد سماه « طبقات الشعراء » .

وينقسم الكتاب إلى قسمين :

القسم الأول : منهما هو المقدمة ، وهى تشتمل على قضايا نقدية مهمة وعلى رأسها قضية الانتحال فى الشعر .

والقسم الثانى : ويشتمل على تصنيف لفحول الشعراء الجاهليين والمخضرمين ، والإسلاميين عن طريق تقسيمهم إلى طبقات .

وسوف أتناول هذين القسمين اللذين اشتمل عليهما الكتاب بالدراسة والتحليل .

وعلى الرغم من أن المقدمة قصيرة بالقياس إلى بقية الكتاب فقد اشتملت على مجموعة من القضايا النقدية والأدبية وعلى رأسها قضية انتحال الشعر .

ويبدو أن هذه القضية كانت معروفة ومثارة فى أيام ابن سلام عند كثير من النقاد حيث ذكر ابن سلام فى المقدمة أن « خلفا » كان يرى أن من الشعر ما هو مصنوع لاخير فيه فلذلك يرده ، ويونس بن حبيب يتهم حماد الراوية بالكذب .

وأبو عبيدة يروى : أن داود بن متمم بن نويرة قدم البصرة فأتاه هو وابن نوح فسألاه عن شعر أبيه متمم ، وإذا يحتذى على كلامه فيذكر المواضع التى ذكرها متمم ، والوقائع التى شهدها .

قال أبو عبيدة : فلما قال ذلك علمنا أنه يفتعله[١] .

(١) مقدمة طبقات الشعراء ص٤٠ لابن سلام

ومعنى هذا أن جماعة من العلماء غير ابن سلام كانوا يعلمون أن بعض الشعر مصنوع منحول إلى غير قائله ، ولكن الجديد عند ابن سلام أنه عرض هذه القضية ، وبرهن على صحتها بأدلة نقلية وأخرى عقلية ، فنراه يعيب على محمد بن إسحاق صاحب السيرة أنه هجن الشعر وأفسده حيث أورد فى كتابه أشعاراً لرجال لم يقولوا شعرا قط ولنساء لم يقلن شعرا قط بل أورد أشعارا لعاد وثمود ، وهذا محال لأسباب ذكرها ابن سلام .

أولها : دليل نقلى وهو قوله تعالى « وأنه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى » .

وقوله تعالى فى عاد « فهل ترى لهم من باقية » وإذا كانت عاد وثمود قد هلكتا بنص القرآن الكريم ولم تبق لهم باقية فمن الذى حمل ذلك الشعر وأداه منذ آلاف السنين ؟

ثم يتجه ابن سلام بعد ذلك إلى الأدلة العقلية فيذكر أولا :

أن اللغة العربية لم تكن موجودة فى عهد عاد ، ولايصح عقلا أن يقال شعر بلغة لم تكن موجودة وقت نظم ذلك الشعر .

والدليل على عدم وجود اللغة العربية فى عهد عاد أن أول من تكلم بالعربية هو اسماعيل عليه السلام ، وإسماعيل كان بعد عاد ، ثم إن معد بن عدنان الجد الذى قبل الأخير فيمن يعرف من جدود العرب كان فى زمن موسى بن عمران أو قبله قليلا وموسى بن عمران جاء بعد عاد وثمود .

ثانيا : يذكر ابن سلام أن عاداً من اليمن وأن لأهل اليمن لسانا آخر غير لسان أهل الشمال ويستدل على ذلك بقول : أبى عمرو بن العلاء مالسان حمير بلساننا ولاعربيتهم بعربيتنا[١] .

ثالثا : يرجع ابن سلام فى ذلك إلى تاريخ الشعر العربى فيذكر أن عهد العرب بنظم الشعر قريب جدا من الإسلام ، ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل فى حادثة وإنما قصدت القصائد وطول الشعر في عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف وذلك يدل على إسقاط شعر عاد وثمود وحمير وتبع .

ويقول فى موضع آخر « وكان أول من قصد القصائد ، وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبى فى قتل أخيه كليب » .

وكان عهد العرب بالشعر قريبا جدا من الإسلام فكيف يروى ابن إسحاق شعراً منسوباً إلى عاد وثمود ؟

لاشك أن ذلك الشعر موضوع ومصنوع .

وبعد أن يبرهن على صحة نظريته فى أن بعض الشعر موضوع ومصنوع يحاول أن يشرح البواعث التى حملت بعض الرواة على الوضع والكذب فأرجع ذلك إلى سببين :

---

(١) مقدمة ابن سلام ٢٩

الأول : العصبية فى العصر الإسلامى ، ذلك أن الشعر الجاهلى كان قد ضاع منه الكثير بسبب انشغال المسلمين بالجهاد فى سبيل الله ، وغزو الروم وفارس ، ولم يكن ذلك الشعر مدونا فلما فرغوا من الفتوح واطمأنوا بالأمصار ، وراجعوا روايته ، وجدوا كثيرا من حملته قد هلكوا بالموت والقتل فحفظوا أقل ذلك وذهب عنهم منه أكثره يقول : أبو عمرو بن العلاء ماانتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير .

والسبب الثانى: هو الرواة وزيادتهم فى أشعار الماضين ، ويضرب ابن سلام مثلين للرواة المتزيدين :

١ ـ داود بن متمم بن نويرة حيث يروى ابن سلام عن أبى عبيدة قوله : قدم داود بن متمم إلى البصرة فى بعض مايقدم له البدوى فى الجلب والميرة ، فأتيته أنا وابن نوح فسألناه عن شعر أبيه متمم وقمنا له بحاجته ، فلما نفد شعر أبيه جعل يزيد فى الأشعار ويضعها لنا .

وإذا هو كلام دون كلام متمم وإذا هو يحتذى على كلامه فيذكر المواضع التى ذكرها متمم ، والوقائع التى شهدها فلما توالى ذلك علمنا أنه يفتعله .

٢ ـ وضرب ابن سلام مثلا آخر بحماد الراوية فيذكر أن حمادا قدم البصرة على بلال بن أبى بردة فقال له بلال : ماأطرفتنى شيئا فأنشده القصيدة التى فى شعر الحطيئة مديح أبى موسى فقال ويحك يمدح الحطيئة

أما موسى ، ولا أعلم به ، وأنا أروى للحطيئة ، ولكن دعها تذهب في الناس .

قال ابن سلام : سمعت يونس يقول: العجب لمن يأخذ عن حماد كان يكذب ويلحن ويكسر .

وبذلك يكون ابن سلام في مقدمته لكتابه أول من تعرض لنظرية الانتحال في الشعر وأول من بين أسبابها وشرح بواعثها وبذلك يكون قد سبق « مرجليوث » و « طه حسين » بمئات السنين ، وهذا يدل على حصافته وإدراكه وحسن فهمه للشعر والشعراء .

بعد المقدمة قام ابن سلام بتقسيم الكتاب إلى قسمين :

القسم الأول : جعله للشعراء الجاهليين وقسمهم إلى عشر طبقات في كل طبقة أربعة شعراء :

الطبقة الأولى : تحدث فيها عن أربعة من فحول الشعراء في الجاهلية وهم : امرؤ القيس وزهير والنابغة والأعشى .

متأثرا في ذلك بالمقولة النقدية القديمة « أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والنابغة إذا رهب والأعشى إذا طرب »

ومضى ابن سلام في تقسيم الشعراء الجاهليين إلى طبقات جاعلا في كل طبقة أربعة شعراء حتى ينتهي إلى الطبقة العاشرة ولكن لنا عليه بعض المآخذ .

أولا : أنه جهل بعض الشعراء المخضرمين الذين أدركوا الإسلام

جاهليين أمثال : كعب بن زهير والحطيئة حيث وضعهما فى الطبقة الثانية من الجاهليين .

كما وضع فى الطبقة الثالثة أربعة شعراء كلهم أسلموا وحسن إسلامهم وهم : أبو ذئيب الهذلى والنابغة الجعدى والشماخ بن ضرار ولبيد بن ربيعة ومع ذلك وضعهم مع الجاهليين .

والأغرب من ذلك أنه جعل «سحيما» عبد بنى الحسحاس من شعراء الطبقة التاسعة من الجاهليين مع أنه ولد فى الإسلام ويقال : إن النبى صلى الله عليه وسلم رآه وأعجب بشعره وعاش فى الإسلام حتى قتل سنة ٤٠ﻫ

ثانيا : أنه لم يكن دقيقا فى حكمه على الشعراء عندما قسمهم إلى طبقات والدليل على ذلك أنه جعل : طرفة بن العبد وعبيد بن الأبرص وعلقمة بن عبدة فى الطبقة الرابعة مع أنهم من أعظم شعراء العرب فى الجاهلية ولم يذكر لنا السبب فى تأخيرهم إلى المرتبة الرابعة .

ثالثا : مع أنه قد ألزم نفسه بأن يجعل فى كل طبقة أربعة إلا أنه لم يلتزم بذلك عند حديثه عن شعراء القرى حيث جعل شعراء المدينة ستة وشعراء مكة عشرة وشعراء الطائف خمسة وشعراء البحرين ثلاثة وشعراء اليهود ثمانية .

أما القسم الثانى من الكتاب فقد خصصه ابن سلام للشعراء الإسلاميين ، ويعنى بهم الذين عاشوا فى عصر بنى أمية ويقسمهم إلى عشر طبقات ويجعل فى كل طبقة أربعة على غرار مافعل مع الجاهليين .

وقد تحـدث فى الطبقة الأولى عن أربعة شعراء من عمالقة العصر الأموى وهم شعراء النقائض الفرزدق وجرير والأخطل والراعى النميرى وقد أكثر من الاستشهاد بأشعارهم وبخاصة شعر النقائض .

ويمضى ابن سلام فى تقسيم الشعراء الإسلاميين على هـذا النحو حتى يصل إلى الطبقة العاشرة وبذلك ينتهى الكتاب ويؤخذ على هذا القسم أمران :

أولا : أنه تجاهل عددا من الشعراء الإسلاميين كان لهم وزنهم ومكانتهم أمثال : عمر بن أبى ربيعـة المخزومى والكميت بن زيد الأسدى والطرماح بن حكيم والعرجى وعبيد الله بن قيس الرقيات وكلهم من الشعراء المجيدين .

ثانيا : إن تقسيم الشعراء إلى طبقات قد قيد المؤلف وجعله يؤخر شعراء كان من حقهم التقديم وقد اعترف هو نفسه بثقل هذا القيد عليه فى أثناء حديثه عن شعراء الطبقة الثانية من الجاهليين حيث يقول وأوس نظير الأربعة المتقدمين إلا أننا اقتصرنا فى الطبقات على أربعة فقط .

ومهما يكن من شىء فإن ابن سلام يعد من طليعة النقاد العرب وكتابه يعد أول كتاب يصل إلينا سالما فى النقد المنهجى عند العرب ، وبذلك يكون قد مهد السبيل لمن جاء بعده من النقاد والأدباء أمثال : ابن قتيبة والجاحظ والآمدى والجرجانى وابن طباطبا وأبى هلال والثعالبى وغيرهم .

نموذج من الكتاب

الطبقة الرابعة من الشعراء الجاهليين

وهم أربعة رهط فحول شعراء موضعهم مع الأوائل وإنما أخل بهم قلة شعرهم بأيدى الرواة .

طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة .

وعبيد بن الأبرص بن جشم بن عامر أحد بنى دودان بن أسعد ابن خزيمة .

وعلقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة بن ملك بن زيد بن مناة بن تميم .

فأما طرفة فأشعر الناس فى واحدة وهى قوله :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد وقفت بها أبكي وأبكى إلى الغد

ويليها أخرى مثلها وهي :

أصحوت اليوم أم شاقتك هر ومن الحب جنون مستعر

ثم من بعد له قصائد حسان جياد :

وعبيد بن الأبرص قديم عظيم الذكر ، عظيم الشهرة وشعره مضطرب ذاهب لا أعرف له إلا قوله :

أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب

ولا أدرى مابعد ذلك .

وعلقمة بن عبدة وهو علقمة الفحل وعلقمة الخصي فى رهط علقمة الفحل .

ولابن عبدة ثلاث روائع جياد لايفوقهن شعر .

الأولى :

ذهبت من الهجران فى كل مذهب ولم يك حقا كل هذا التجنب

الثانية :

* طحابك قلب فى الحسان طروب *

والثالثة :

* هل ماعلمت وما استودعت مكتوم *

أخبرنا أبو خليفة أخبرنا أبو عثمان المازنى عن الأصمعى عن نافع بن نعيم قال : مر رجل بباب رجل وقد كان فتمثل :

* هل ما علمت وما استودعت مكتوم *

فاستعدى رب البيت عليه عمر فقال له عمر : ما أردت قال : شعرا قال: قد كان له موضع غير هذا ثم أمر به فحد ولاشىء بعدهن يذكر .

وعدى بن زيد كان يسكن الحيرة ومراكز الريف فلان لسانه وسهل منطقه فحمل عليه شىء كثير وتخليصه شديد ، واضطرب فيه خلف ، وخلط فيه المفضل فأكثر وله أربع قصائد غرر روائع مبرزات وله بعدهن شعر حسن ، أولهن :

أرواح مودع أم بكور   أنت فاعلم لأى حال تصير

أخبرنا أبو خليفة أخبرنا ابن سلام قال : سمعت يونس يتمثل بهذين البيتين :

أيها الشامت المعير بالدهر   أأنت المبرأ الموفور
أم لديك العهد الوثيق من الأ   يام بل أنت جاهل مغرور

فقال : لو تمنيت أن أقول شعرا ماتمنيت إلا هذه أو مثل هذه

وقوله :

* أتعرف رسم الدار من أم معبد *

وقوله :

ليس شيء على المنون بباق   غير وجه المسبح الخلاق

وقوله :

لم أر مثل الفتيان فى غبن   الأيام ينسون ماعواقبها[1]

---

(١) طبقات الشعراء ٥٨ ابن سلام تحقيق : طه أحمد إبراهيم ط بيروت

٢ – الشعر والشعراء لابن قتيبه

التعريف بالكاتب :

هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ، كان والده فارسيا من مرو .

وتختلف المصادر فى مكان مولده فيذكر ابن النديم أنه ولد فى الكوفة ويذكر الخطيب البغدادى أنه ولد فى بغداد ويذكر الزركلى أنه ولد ببغداد وسكن الكوفة . (١)

ويبدو أنه ولد بالكوفة وقضى بها طفولته ثم ارتحل فى صباه إلى بغداد فطالت إقامته بها حتى عدّه بعض المؤرخين من أبنائها وذلك عكس ما يقوله صاحب الأعلام.

وكما اختلفوا فى مكان مولده اختلفوا كذلك فى تاريخ مولده وأرجح الأقوال فى ذلك أنه ولد سنة ٢١٣ ﻫ فى مدينة الكوفة .

نشأ ابن قتيبة فى بغداد وهى يومئذ حاضرة الخلافة العباسية وعاصمة الدولة الإسلامية ومركزا هاما من مراكز الحياة الفكرية والأدبية.

وقد أثرت هذه النشأة فى حياته تأثيرا بالغا فأخذ يتردد على مجالس الأدباء ويختلف إلى حلقات العلماء ويغترف من حياضهم وينهل من بحورهم ويتزود من علومهم الواسعة وثقافاتهم المتنوعة ــ فأخذ الحديث عن أئمته المشهورين

---

(١) الأعلام ٤ : ١٣٧ خير الدين الزركلى

فيه أمثال : إسحاق بن راهويه وتلقى النحو على جماعة من علماء الكوفة والبصرة .

مثل أبى حاتم السجستانى وتأثر فى شبابه بما كان يدور فى أوساط العلماء من جدل ومناظرة بين أهل السنة والمعتزلة وانتصر فى النهاية لأهل السنة ودافع عن آرائهم ونصب من نفسه محاميا عنهم وكان لهم كما كان الجاحظ للمعتزلة

وقد اختير قاضيا لمدينة الدينور فمكث بها زمنا حتى نسب إليها فكان يقال : ابن قتيبة الدينورى نسبة إلى هذه البلدة التى تولى فيها منصب القضاء .

ويبدو أنه ضاق بالوظيفة وقيودها فتركها لأن الموظفين كانوا كما وصفهم الجاحظ لباسهم المذلة ، وشعارهم الملق فهم مع ذلك فى تكدير وتنغيص خوفا من سطوة الرئيس ، وتنكيل الصاحب وتغير الدول .

عاد ابن قتيبة إلى بغداد بعد أن ترك القضاء بمدينة الدينور وشارك مشاركة فعالة فى محاربة نزعات الشك والفلسفة التى شاعت فى المجتمع العباسى آنذاك .

وظل الرجل يؤدى رسالته على خير الوجوه حتى لقى ربه سنة ٢٧٦ هـ على خلاف فى ذلك .

وقد مات رحمه الله فجأة حيث صاح صيحة سمعت من بعد ثم أغمى عليه إلى وقت الظهر ثم اضطرب ساعة ثم هدأ فما زال يتشهد إلى وقت الفجر ثم مات رحمه الله .

٢ ـــ ثقافته وآثاره

كان رحمه الله عالما من علماء اللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه ، كما كان محدثا كثيراً التصنيف والتأليف فى علوم الحديث الشريف وكان إلى جانب ذلك كله واسع الاطلاع حافظا للشعر، راوية له ملما بدقائقه فاهما لأسراره ، كما كان ناقدا بصيرا بصنعة النقد ممسكا بزمامها .

وفضلا عن ذلك كله فقد كان جامعا لعلوم الأدب بمعناه العام ملماً بكل ما يتصل بثقافة الكاتب والأديب من معارف عامة وبذلك سار على نفس الدرب الذى سلكه أبو عثمان الجاحظ وأصبح بحق دائرة معارف متنقلة

وقد تجلى ذلك فى كتبه ومؤلفاته حيث حرص فى الكثير من مؤلفاته على تربية الملكة العربية ، وتحبيب اللغة إلى الدارسين وكان يهدف من وراء ذلك إلى إرشاد طبقة الكتاب وتعليمهم ووضع ثمرات ناضجة بين أيديهم حتى يسهل عليهم هضمها والإفادة منها وتكون زاداً للعقول ومتعة للنفوس وإنعاشا للقلب والوجدان .

والدارس لكتب ابن قتيبة يلمس منها أنه كان على علم بالفارسية ضليعا فيها ، وكثيرا ما كان يردد فى كتبه قرأت فى كتب العجم كذا كما كان حافظا للقرآن الكريم فاهما لغريبه، متعمقا فى معانيه كثير الاستشهاد بآياته .

وفضلا عن ذلك كان مطلعا على التوراة والإنجيل مستشهدا بما ورد فيهما فى كثير من آرائه وأقواله .

وفى كتبه دلائل كثيرة تشير إلى علمه بالمنطق والفلسفة والطبيعة وقد

خلف لنا تراثا فكريا ضخما يشهد له بالتقدم والسبق .

ومن أشهر كتبه التي وصلت إلينا :

« تأويل مختلف الحديث » و « أدب الكاتب » و « كتاب المعارف » و « المعاني » و « عيون الأخبار » و « الإمامة والسياسة » و « الأشربة » « الرد على الشعوبية » و « مشكل القرآن و « تفسير غريب القرآن و « المسائل والأجوبة » ثم « الشعر والشعراء »[1]

---

(1) انظر في ابن قتيبة وفيات الأعيان ١ : ٢٥١ ونزهة الألبا ٢٧٢ ولسان الميزان ٣ : ٢٥٧ ومجلة المجمع اللغوي ٢٦ : ٢٨٣

٣ — كتاب الشعر والشعراء

يعد هذا الكتاب من أهم كتب ابن قتيبة ومن أوائل كتب النقد التى تمتاز بالرأى الحر والمنهج الواضح .

وأهم ما فى هذا الكتاب مقدمته ، فقد وضع فيها ابن قتيبة أصول النقد المعروفة فى عصره ، وجمع فيها قدرا لا بأس به من مقاييس النقاد وأحكامهم مع اجتهاد وحصافة ، ومسايرة لروح العصر وفهم لظروف الشعر الجديد ومعرفة لاتجاهاته ومساراته . ومواجهة شجاعة للمقاييس النقدية التى كانت سائدة فى عصره عند جماعة النحاة اللغويين الذين كانوا يتعصبون للقديم لقدمه ويرفضون الحديث لحداثته .

ويبدأ ابن قتيبة فى عرض موضوع الكتاب فيقول :

وهذا كتاب ألفته فى الشعراء ، أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم ، وأحوالهم فى أشعارهم ، وقبائلهم وأسماء آبائهم ، ومن كان يعرف باللقب أو بالكنية منهم وما أخذته العلماء عليهم من الغلط فى ألفاظهم ومعانيهم وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون ،وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته ، وعن الوجوه التى يختار الشعر عليها ، ويستحسن لها (١)

فالموضوع الذى يدور عليه الكتاب ذو شقين :

الأول منها : عرض تاريخى ذكر فيه أسماء الشعراء وتراجمهم وأخبارهم

---

(١) مقدمة الشعر والشعراء ص ١٠

وقبائلهم وما إلى ذلك .

أما الشق الثانى : فقد تعرض فيه للناحيتين : الأدبية والنقدية فذكر ما يستجاد من شعرهم وما قاله العلماء فيه .

ولم يتعرض الكتاب لشعراء العرب جميعا فى الجاهلية والإسلام إلى عصر المؤلف بل اختار من هؤلاء أكثرهم شهرة ، وأبعدهم صيتا فقال :

وكان أكثر قصدى للمشهورين من الشعراء والذين يعرفهم جل أهل الأدب والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم فى الغريب و فى النحو وفى كتاب الله عز وجل وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأما من خفى اسمه وقل ذكره ، وكسد شعره ، وكان لا يعرفه إلا الخواص فما أقل من ذكرت من هذه الطبقة .

ومقدمة الكتاب كما قلنا أهم ما فيه فقد بسط فيها آراءه النقدية ووضع فيها مقاييسه العامة وذكر الأصول والمبادىء التى بنى عليها آراءه فى الشعر والشعراء .

ويمكن عرض هذه المقدمة وتلخيصها فيما يلى :

أولا : ثار ابن قتيبة على كثير من آراء النقاد المعاصرين له الذين كانوا يتعصبون للشعر القديم لتقدم قائله بصرف النظر عن جودته أو رداءته .

ورأى أن الشعر الجيد هو الذى يتفق ومفهوم العصر ولا يغرب فى اللفظ أو المعنى بل يأخذ ألفاظه وصوره من الحياة التى يعيش فيها واستهمل عامل الزمن فى نقده للشعر ونظرته إليه وعول كثيرا على القيمة الفنية

للشعر بصرف النظر عن قائله ، مخالفا بذلك آراء غيره من المعاصرين له الذين كانوا يعجبون بالشعر القديم ويفضلونه على أى شعر آخر .

يقول فى ذلك : فإنى رايت علماءنا منهم من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه فى متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب عنده إلا أنه قيل فى زمانه أو أنه رأى قائله[1]

ثم يقول ولم يقصر الله تعالى العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوما دون قوم بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده فى كل دهر[2]

ثانيا : قام بتقسيم الشعر من حيث الجودة والرداءة إلى أربعة أقسام هى

(أ) ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه كقول الشاعر فى بعض بنى أمية

فى كفه خيزران روحه عبق من كف أروع فى عرنينه شمم

يغضى حياء ويغضى من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم

لم يقل فى الهيبة شىء أحسن منه

وكقول أوس بن حجر :

أيتهـا النفس أجملى جزعا إن الذى تحذرين قد وقعا

لم يبتدئ أحد مرثية بأحسن من هذا .

(١) انظر المقدمة ص ٦٢

(٢) نفسه

وكقول أبى ذئيب الهذلى :

والنفس راغبة إذا رغبتها ... وإذا ترد إلى قليل تقنع

(ب) وضرب منه حسن لفظه وحلا فإن أنت فتشته لم تجد هناك فائدة فى المعنى كقول القائل :

ولما قضينا من منى كل حاجة ... ومسح بالأركان من هو ماسح

وشدت على حدب المهارى رحالنا ... ولا ينظر الغادى الذى هو رائح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالت بأعناق المطى الأباطح

فهذه الألفاظ كما ترى أحسن شىء مخارج ومطالع ومقاطع وإن نظرت إلى ما تحتها من المعنى وجدته .

ولما قضينا أيام منى واستلمنا الأركان ، وعالينا إبلنا الأنضاء ، ومضى الناس لا ينظر الغادى الرائح ، وابتدأنا فى الحديث ، وسارت المطى فى الأباطح (١)

وإذا كان ابن قتيبة يرى : أن معنى هذه الأبيات أقل قيمة من ألفاظها فنحن لا نوافقه على ذلك ؛ لأن الشاعر أراد أن يصور الحالة النفسية للحجاج وقد فرغوا من مناسكهم ، وسعدوا بأداء فريضتهم ، وقضوا حاجة روحية فى نفوسهم ، وطافوا طواف الوداع ، واستعدوا للسفر إلى بلادهم وهم أشد ما يكونون شوقا إلى أهليهم وأولادهم . فهم يتعجلون الرحيل ولذلك فقد وضعوا رحالهم على إبلهم واعتلوا ظهورها، وأخذوا يتجاذبون

(١) انظر مقدمة الشعر والشعراء ص ٦٤ وما بعدها للمؤلف

أطراف الحديث ، والحديث فى السفر يخفف من متاعبه ومشقاته .

والإبل بدورها لم تكسل ولم تتبلد و إنما شاركتهم فرحتهم بالعودة إلى أوطانهم فأخذت تنهب الأرض نهبا ، وتطوى الطريق طيا وقد مدت أعناقها فى نشاط وخفة وكأنها ماء يسيل فى الوادى .

غير أن الشاعر قد قلب هذه الصورة فجعل الوادى هو الذى يسيل ، وذلك بلا شك معنى رائع قد وفق الشاعر فى عرضه بألفاظ تقطر رقة وتسيل عذوبة كما وفق فى اختيار الصورة الخيالية التى تبرزه وتوضحه .

(ج) وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه كقول لبيد ابن ربيعة

ما عاتب المرء الكريم كنفسه　　والمرء يصلحه الجليس الصالح

فهذا و إن كان جيد المعنى والسبك فإنه قليل الماء والرونق .

(د) وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه كقول الخليل بن أحمد العروضى :

إن الخليط تصدع　　فطر بدائك أوقع
لولا جوار حسان　　حور المدامع أربع
أم البنين وأسماء　　والرباب وبوزع
لقلت للراحل إرحل　　إذا بدا لك أودع

وهذا الشعر بين التكلف ردىء الصنعة وكذلك أشعار العلماء ليس فيها شىء جاء عن سماح وسهولة كشعر الأصمعى وشعر ابن المقفع وشعر الخليل .

ثالثا :

تكلم ابن قتيبة عن بناء القصيدة والطريقة التى يجب على الشعراء أن يسلكوها فى مطالع قصائدهم فذكر « أن مقصد القصيدة إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار فبكى وشكا وخاطب الربع واستوقف الرفيق ليجعل من ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين .

ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجد ، وألم الفراق ، وفرط الصبابة والشوق ، ليميل نحوه القلوب ، ويصرف إليه الوجوه، لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب ، لما قد جعل الله فى تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقا منه بسبب وضاربا فيه بسهم، فإذا علم أنه استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له عقب بإيجاب الحقوق فرحل فى سفره ، وشكا النصب والسهر وسرى الليل وحر الهجير وانضاء الراحلة والبعير فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وزمالة التأميل وقرر عنده ما ناله من المكاره فى السير بدأ فى المديح فبعثه على المكافأة وهزه للسماح (١)

ويرى ابن قتيبة أن الشاعر المجيد هو الذى يسلك هذه الأساليب ، ويعدل بين هذه الأقسام ، فلم تجعل واحدا منها أغلب على الشعر ولم يطل فيمل السامعين ، ولم يقطع وبالنفوس ظمأ إلى المزيد .

ويحظر الكاتب على المتأخرين من الشعراء أن يخرج على المتقدمين فيما

---

(١) المقدمة ٦٣

يتصل ببناء القصيدة . ولكنه فى الوقت نفسه يطلب منهم أن يكونوا صادقين فى مشاعرهم وفى وصف ما طرأ على حياتهم من مظاهر التقدم والحضارة فيقول ؟

وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج على مذهب المتقدمين فى هذه الأقسام فيقف على منزل عامر أو يبكى عند مشيد البنيان لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الداثر والرسم العافى ، أو يرحل على حمار أو بغل لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير ، أو يرد على المياه العذاب الجوارى لأن المتقدمين وردوا على الدواجن الطوامى أو يقطع إلى الممدوح منابت النرجس والآس والورد لأن المتقدمين جروا على قطع منابت الشيح والعنوة والعرارة .

ونحن نرى أن ابن قتيبه يناقض نفسه فى هذه الدعوة فلقد سبق أن ثار على نقاد عصره الذين يتعصبون للقديم لقدمه ثم نراه هنا يتعصب لا للشعر القديم ولكن لبناء القصيدة التقليدية ويطالب الشعراء بالسير على نهجها وعدم مخالفة طريقتها .

ولقد عاب عليه الدكتور محمد مندور ذلك عندما قال : نحن لا نرى ما يمنع من أن يبدأ الشعراء مدائحهم بوصف القصور كما فعل أشجع السلمى مثلا عندما أتى الرشيد مادحاً فقال :

قصر عليه تحية وسلام ألقت عليه جمالها الأيام
قصر سقوف المزن دون سقوفه فيه لأعلام الهدى أعلام

إن الذى كنا نستطيع أن نفهمه من ابن قتيبة هو أن يجارى نظرة

العقل السليم إلى النهاية فيدعو الشعراء إلى الصدور عن طبعهم وملابسات حياتهم ما دام يرى « أن الله لم يقصر العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوما دون قوم بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده فى كل دهر وجعل كل قديم حديثا فى عصره »(١)

رابعاً : تحدث ابن قتيبة بعد ذلك عن قضية الطبع والصنعة فذكر أن المتكلف من الشعراء هو الذى قوم شعره بالثقاف ونقحه بطول التفتيش وأعاد فيه النظر بعد النظر كزهير والحطيئة وكان الأصمعى يقول :

زهير والحطيئة وأشباههما من الشعراء عبيد الشعر لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين وكان الحطيئة يقول :

خير الشعر الحولى المحكك وكان زهير يسمى كبرى قصائده الحوليات .

والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافى وأراك فى صدر بيته عجزه وفى فاتحته قافيته وتبينت على شعره رونق الطبع ووحشى الغريزة وإذا امتحن لم يتلعثم .

خامساً : تحدث عن دواعى الشعر وبواعثه فذكر أن للشعر دواع تحث البطىء وتبعث المتكلف .

منها : الطمع ومنها الشوق ومنها الشرب ومنها الطرب ومنها الغضب وأمثلة ذلك ما يلاحظ من قوة شعر الكميت فى بنى أمية مع تشيعه ويعلله بقوة أسباب الطمع وإيثار النفس لعاجل الدنيا على آجل الآخرة .

ومنها ما قاله كثير من أن الشعر إذا عسر عليه طرف بالرياض المشبهة فيسهل عليه قرضه ويسرع إلى أحسنه

سادسا :

وفي نهاية المقدمة يتحدث عن عيوب الشعر وهي عيوب متصلة بالصياغة من حيث سلامة الأوزان أو اعتدال القوافي وصحتها وتواردها على روى واحد .

أو عيوب متصلة بالإعراب وتظهر فيما قد يلجأ إليه الشاعر من تسكين متحرك أو تحريك ساكن أو قصر ممدود أو إيراد ألفاظ وحشية أو استعمال اللغة القليلة في العرب .

ومن تلك العيوب ما يصح التجاوز عنه ومنها ما لا يغفر للشاعر فيه .

وهكذا تنتهي المقدمة وقد وضع كما أسلفنا الأصول العامة للشعر والشعراء .

وهذه المقدمة هي أهم ما في الكتاب من الناحية النقدية ثم أردفها بالحديث عن الشعراء وتراجمهم بادئا بامرىء القيس الذي اهتم به اهتماما بالغا وأفرد له الصفحات الطوال لحقق وقائع حياته مع إيراد أبيات من شعره شواهد عليها .

وأثنى على شاعريته وتقدمه وسرد بعض أقوال الأئمة فيه كعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وابن الكلبي ، وما قيل من سبقه إلى كثير من المعاني واتباع الشعراء اللاحقين له فيها ويورد أمثلة من أبيات امرىء القيس مع أبيات قلده فيها الشعراء الآخرون .

وقد اتبع هذا المنهج فى معظم تراجمه بعد ذلك وكان يتعرض فى أثناء كلامه عن الشعراء إلى بعض خصائصهم الشعرية كأن يرى أن زهيرا كان يتأله فى شعره، وأن عدى بن زيد كان بين الشعراء بمنزلة سهيل فى النجوم يعارضها ولا يجرى مجاريها وأن العرب لا تروى شعره لأن ألفاظه ليست نجدية وأنه كان لا يحسن أن ينعت الخيل.

ولم يلتزم ابن قتيبة فى كتابه بمنهج معين يسير عليه وإن كان المنهج التاريخى هو الغالب عليه إلى حد ما لأنه بدأ بشعراء الجاهلية الذين لم يدركوا الإسلام ثم بالذين أدركوه أمثال: لبيد بن ربيعة والنابغة الجعدى ولكن هذا النظام لم يطرد له حيث أورد مثلا مهلهل بن ربيعة بن النابغة الجعدى والعباس بن مرداس ومهلهل كما هو معروف شاعر جاهلى قديم يقال إنه أول من هلهل الشعر بينما النابغة الجعدى والعباس قد أدركا الإسلام كما ذكر تأبط شرا وهو جاهلى صميم بعد حسان بن ثابت والنمر بن تولب وهما مخضرمان.

وتارة كان يرى الوفاق فى الموضوع والغرض سببا لإلحاق شاعر بآخر فقد ترجم لشعراء النقائض جرير والفرزدق والأخطل مراعيا منزلتهم كما ترجم مجنون ليلى ثم ألحق به العرجى حفيد عثمان بن عفان لأن كلا منهما كان من شعراء الغزل.

وشخصية ابن قتيبة غير واضحة فى هذه التراجم كما كانت واضحة فى المقدمة لأنه نقل كثيرا من أخبار هؤلاء الشعراء من كتب سابقيه كما هو ظاهر فى نقله من كتاب الشعر والشعراء لابن سلام الجمحى.

والكتاب بعد ذلك كله يعد علامة بارزة فى طريق النقد الأدبى سهلت الطريق لمن سلكه بعد ابن قتيبة من الأدباء والنقاد أمثال : ابن طباطبا العلوى ـ وأبو هلال العسكرى والقاضى الجرجانى وغيرهم .

نموذج من الكتاب

« حسان بن ثابت »

هو حسان بن ثابت بن المنذر الأنصارى ويكنى أبا الوليد وأبو الحسام وأمه الفريعة من الخزرج ، وهو جاهلى إسلامى متقدم الإسلام إلا أنه لم يشهد مع النبى صلى الله عليه وسلم مشهدا لأنه كان جبانا وكانت له ناصية يسدلها بين عينيه وكان يضرب بلسانه روثه أنفه من طوله ويقول :

مايسرنى به مقول أحد من العرب والله لو وضعته على شعر لحلقه ، أو على صخر لفلقه وعاش فى الجاهلية ستين سنة وفى الإسلام ستين سنة ومات فى خلافة معاوية وعمى فى آخر عمره .

قال الأصمعى : الشعر نكد بابه الشر فإذا دخل فى الخير ضعف هذا حسان بن ثابت فحل من فحول الجاهلية فلما جاء الإسلام سقط شعره وقال مرة : شعر حسان فى الجاهلية من أجود الشعر فقطع متنه فى الإسلام .

وكان حسان يفد على ملوك غسان بالشام ويمدحهم .

ومن جيد شعره فيهم قوله :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل
يغشون حتى ما تهر كلابهم لايسألون عن السواد المقبل

وابن مارية هو الحارث الأعرج بن أبي شمر الغساني .

وكان أثيراً عندهم ولذلك يقول :

قد أراني هناك حق مكين عند ذي التاج مقعدي ومكاني

ولما سار جبلة بن الأيهم إلى بلاد الروم وورد على ملك الروم رسول معاوية فسأله جبلة عن حسان فقال له : شيخ قد عمي فدفع إليه ألف دينار وقال : إدفعها إلى حسان .

قال : فلما قدمت إلى المدينة ودخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت فيه حسان بن ثابت فقلت له : صديقك جبلة يقرأ عليك السلام قال : فهات ما معك فقلت له يا أبا الوليد كيف علمت ؟ قال : ما جاءني منه رسالة قط إلا ومعها شيء . وولد لحسان عبد الرحمن من أخت مارية أم إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تسمى سيرين وكان عبد الرحمن بن حسان شاعرا وكان له ابن يقال له سعيد بن عبد الرحمن .

وكان لحسان بنت شاعرة فأرق حسان ذات ليلة فعن له الشعر فقال :

متاريك أذناب الأمور إذا اعترت
أخذنا الفروع واجتثثنا أصولها

ثم أجبل فلم يجد شيئا فقالت له بنته كأنك أجبلت يا أبه .

قال : أجل قالت له فهل لك أن أجيز عنك ؟

قال : وهل عندك ذلك ؟ قالت نعم قال : فافعلى فقالت :

مقاويل بالمعروف خرس عن الخنا كرام يعاطون العشيرة سولها

فحمى الشيخ فقال :

وقافية مثل أسنان رزقتها تناولت من جو السماء نزولها

فقالت :

يراها الذى لاينطق الشعر عنده ويعجز عن أمثالها أن يقولها

فقال حسان : لاأقول بيت شعر وأنت حية

قالت : أو أومنك .

قال : وتفعلين ؟ قالت نعم : لاأقول بيت شعر مادمت حيا . وانقرض ولد حسان فلم يبق له عقب .

وقال حسان أو ابنه عبد الرحمن : قلت شعرا لم أقل مثله وهو :

وإن امرءا أمسى وأصبح سالما من الناس إلا ماجنى لسعيد

والناس يقولون : فشركما لخيركما الفداه وهو عجز بيت لحسان قال :

أتهجوه ولست بكفء فشركما لخيركما الفداء[1]

---

(١) انظر الترجمة فى الشعر والشعراء ٣٠٥/١ ابن قتيبة ط دار المعارف

٣ ـ طبقات الشعراء لابن المعتز

مؤلف هذا الكتاب أمير من أمراء البيت العباسي وشاعر بارع من شعراء العصر العباسي ومؤلف كبير له من الكتب مايدل على عمق ثقافته واتساع معارفه وفضلا عن ذلك فقد كان نافذ البصيرة حسن الفهم للشعر والشعراء ، ذلكم هو الأمير عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم ابن هارون الرشيد بن المهدى بن المنصور بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس عم النبي صلى الله عليه وسلم .

فمؤلفنا من أسرة عريقة جمعت الشرف من أطرافه .

وتولى أفرادها حكم دولة عريقة كانت من أكبر الدول وأعظمها فى زمانها وهى الدولة العباسية ، ومؤلفنا كان خليفة فى هذه الدولة ولكن حظه العاثر جعله يقتل فى اليوم التالى من خلافته .

ولد ابن المعتز بمدينة « سر من رأى » لسبع بقين من شعبان سنة سبع وأربعين ومائتين بعد الهجرة على أرجح الأقوال من أم رومية وأب عباسى هاشمى امتاز بالوسامة وبهاء الطلعة وحضور البديهة قال الشعر وارتجله .

وقد كان مولده فى عهد جده المتوكل وهو عهد زاخر بالعلم وصلت فيه الحضارة العباسية قمة مجدها ، وتربى فى ظلال القصور تحت رعاية أبوين كريمين ولكن الأحداث مالبثت أن عصفت بجده المتوكل حيث تآمر الأتراك عليه وقتلوه وتتابعت الأحداث وتلاحقت فقتل أبوه المعتز وابنه مازال طفلا لم تؤهله سنه أن يشعر بالكارثة فاحتضنته جدته لأبيه قبيحة

التي نفيت إلى مكة في عهد الخليفة المهتدي ومعها حفيدها وبقيت في مكة إلى جوار بيت الله الحرام حتى استدعاها الخليفة المعتمد ومعها ابن المعتز الذي أصبح حينئذ في سن تؤهله لإدراك ماحوله من أحداث .

وقد استدعت له جدته المؤدبين والمعلمين فأخذ منهم مبادىء العلوم الدينية والعربية ثم مالبث أن أقبل على أساطين اللغة وعلماء الإسلام ينهل من بحورهم ويعب من معينهم حتى أصبح علما من أعلام الأدب وأستاذا من أساتذة اللغة وشاعرا محلقا وكاتبا مبدعا ومؤلفا محققا .

ويكفيه فخرا أن يتتلمذ على أكبر علماء زمانه في اللغة والنحو والقراءات والأدب أمثال : المبرد وثعلب وأبو جعفر محمد بن عمران القشي صاحب النحو والقراءات ومحمد بن هبيرة الأسدي صاحب الفراء وأحمد بن سعيد الدمشقي الذي كان لايفارقه .

وقد هيأت له جدته مكتبة عامرة في العلوم والآداب والمعارف فأقبل عليها ينهل من تراث الأقدمين من تراجم وآداب ولغة وتفسير وحديث وبذلك يكون ابن المعتز قد جمع بين شرف النسب وشرف العلم فتطلعت إليه عيون المحبين واشرأبت إليه أعناق المحكومين .

يقول أبو الفرج « وممن صنع من أولاد الخلفاء فأجاد وأحسن وبرع وتقدم جميع أهل عصره فضلا وشرفا وأدبا وظرفا وتصرفا في سائر الآداب أبو العباس عبد الله بن المعتز »[1]

---

(١) الأغاني ١٣٠/٩

وجاء فى الأوراق للصولى أن داره كانت مثابا لأهل الأدب وكان يجالسه منهم جماعة ولايذكر له أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا سدد فضائله وناضل عنه ونصره إلا أنه كان يقدم بنى هاشم ويفضلهم وماسمعته فى حال من الأحوال ينقص أحدا ولاعرض بذلك ولا أومأ إليه .

وكتب النقد القديمة تشير كلها إلى أن منزلة عبد الله بن المعتز من الشعر شريفة وأنه أشعر بنى هاشم وأنه فخر الخلفاء وصاحب الشعر الرقيق ، وأول من صنف فى صنعة الشعر ، أرق الناس فى الأوصاف والتشبيهات وهو القائل : « إذا قلت كأن ولم آت بعدها بالتشبيه فض الله فاى »[1] .

وفى آخر أيامه تحزب له جماعة من الجند والأتراك على العادة الجارية فى ذلك العهد وخلعوا الخليفة المقتدر سنة ٢٩٦ﻫ وبايعوا ابن المعتز وسموه المرتضى بالله فأقام يوما وليلة ثم تحزب أصحاب المقتدر وتراجعوا وحاربوا أعوان ابن المعتز وشتتوهم وأعادوا المقتدر إلى الخلافة واختفى ابن المعتز فى دار «الجصاص» التاجر الجوهرى المشهور يومئذ فأخذه المقتدر وسلمه إلى مؤنس الخادم فقتله ودفعه إلى أهله ملفوفا فى كساء وكان ذلك سنة ٢٥٦ﻫ[2]

وهكذا تنتهى نهاية هذا الأمير الشاعر نهاية مأساوية فقد قتل كما قتل

---

(١) انظر تقديم ديوان ابن المعتز تحقيق محمد بديع ص١٦٦

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ١٨٧/١ جورجى زيدان ط دار الهلال

أبوه وجده من قبل ولكنه قد خلف لنا تراثا ضخما فى الشعر والتراجم والبديع والصيد والغناء والخمر والأخبار وقد أحصى ابن النديم كتبه ومؤلفاته ومن أشهرها .

١ — كتاب البديع ، وكتاب طبقات الشعراء وكتاب السرقات وكتاب الجامع فى الغناء ، وكتاب الآداب وكتاب الجوارح والصيد وديوان شعر كبير ، وهو تراث فكرى وأدبى ضخم إذا قيس بحياة ابن المعتز القصيرة والتى قضى معظمها بين الفتن والدسائس وعدم الاستقرار ، ولكنها على قصرها كانت حياة مباركة فى عالم التأليف والأدب .

والذى يهمنا من بين هذا التراث الضخم هو كتابه طبقات الشعراء الذى نحن بصدد دراسته وتسليط الأضواء عليه .

طبقات الشعراء

يعد كتاب طبقات الشعراء للأمير عبد الله بن المعتز من أمهات كتب التراجم والطبقات وهو الكتاب الثالث فى هذه السلسلة العظيمة من كتب الطبقات بعد كتاب الجمحى وكتاب ابن قتيبة .

وهو كتاب جليل عظيم القدر لايستغنى عنه باحث أو دارس ذلك أن كثيرا من دواوين الشعراء الذين ترجم لهم ابن المعتز فى كتابه قد ضاعت مع ماضاع من تراثنا الأدبى ولم يبق من آثار هؤلاء الشعراء إلا ماسجله ابن المعتز فى ذلك السفر النفيس .

وابن المعتز لاينكر فى كتابه أنه ألفه على غرار كتاب قد ألف فى

عصره وهو كتاب « البارع فى طبقات الشعراء »[1] لابن المنجم حيث يقول :

« خطر على الخاطر فى بعض الأفكار أن أذكر فى نسخة ما وضعته الشعراء من الأشعار فى مدح الخلفاء والوزراء والأمراء من بنى العباس ، ليكون مذكورا عند الناس متابعا لما ألفه (ابن نجيم) قبلى بكتابه المسمى (بطبقات الشعراء الثقات) مستعينا بالله المسهل الحاجات وسميته طبقات الشعراء المتكلمين من الأدباء المحدثين »

ويؤكد محقق كتاب الطبقات أن ابن نجيم هذا ماهو إلا ابن المنجم صاحب كتاب (البارع) ذلك أنه بحث فى كتب الطبقات فلم يجد من اسمه ابن نجيم ولكنه وجد ابن المنجم ، وأنا أرى رأيه لأسباب منها :

أولا : أن ابن المنجم هذا كان معاصرا لابن المعتز وعاش فى بغداد فى القرن الثالث الهجرى وتوفى سنة ٢٨٨ هـ أى قبل مقتل ابن المعتز بحوالى ثمان سنوات فليس بغريب أن يتأثر به ابن المعتز وأن ينسج على منواله .

ثانيا : تكلم ابن خلكان عن كتاب ابن المنجم وأشاد به وهو يشبه إلى حد كبير كتاب ابن المعتز مما يؤكد الصلة بين العملين حيث يقول عن المنجم :

---

(١) طبقات الشعراء ١٨

« صنف كتاب البارع فى أخبار الشعراء المولدين وجمع فيه مائة وواحدا وستين شاعرا وافتتحه بذكر بشار بن برد وختمه بمحمد بن عبد الملك بن صالح واختار فيه من شعر كل واحد عيونه »(١) .

وهذا مافعله ابن المعتز حيث تحدث عن الشعراء المولدين وهم الشعراء الذين عاشوا فى الدولة العباسية ومدحوا خلفاء بنى العباس .

ثالثا : لم تذكر كتب الطبقات ولا كتب التراجم شيئا عن ابن نجيم ولكنها ذكرت أخبارا عن ابن المنجم واسمه هارون بن على بن يحيى ابن المنجم البغدادى كان عالما بالأدب والأخبار له تصانيف منها : كتاب (النساء) وكتاب (المختار فى الأغانى) وكتاب (أخبار الشعراء) وكتاب (البارع فى أخبار الشعراء المولدين) قال ابن خلكان « وهو من الكتب النفيسة فإنه يغنى عن دواوين الجماعة وقد محض أشعارهم وأثبت منها زبدتها توفى ببغداد شابا »(٢) .

وعلى هذا يكون « ابن نجيم » هذا الذى ورد ذكره فى مقدمة طبقات ابن المعتز ماهو إلا ابن المنجم صاحب كتاب (البارع) ولعل هذا التحريف جاء نتيجة اهمال النساخ والوراقين الذين لم يراعوا الدقة فى النقل حتى وصل إلينا محرفا على هذا النحو .

---

(١) وفيات الأعيان ١٢٧/٥

(٢) المرجع السابق ١٩٤/٢ وانظر الأعلام ٨٢/٨ الوركلى

ونعود للحديث عن كتاب (طبقات ابن المعتز) فنقول : إن ابن المعتز قد ترجم فى كتابه للشعراء المولدين كما فعل هارون بن المنجم واختار على وجه التحديد الشعراء الذين عاشوا فى الدولة العباسية وترددوا على خلفاء بنى العباس ومدحوهم بعيون أشعارهم وهو فى ذلك لايراعى الترتيب الزمنى فى حديثه عن الشعراء كما أنه لايلتفت إلى النواحى الفنية ولايجعل الجودة هى المقياس الوحيد لاختياره كما فعل ابن سلام مثلا وإنما يختار من الشعراء أقربهم إلى قصور بنى العباس وأكثرهم مديحا وإخلاصا لهم بدليل أنه بدأ كتابه بالشاعر ابن هرمة الذى بلغ به الدلال عند الخليفة العباسى بحيث يجعله يكتب إلى عامله بالمدينة ألا يوقع عليه حدّ الخمر إذا ضبط سكرانا ، ويثنى بالحديث عن بشار بن برد الذى كان على كراهيته لبنى العباس صاحب قصائد طويلة فى المهدى ثم يثلث بالحديث عن السيد الحميرى الذى كان على تشدده فى تشيعه يمدح المنصور وبنى العباس(١) .

ومعنى هذا أن ابن المعتز كان أنانيا فى هذا الاختيار حيث أهمل كثيرا من الشعراء العباسيين الذين وصلوا بأشعارهم إلى سماء المجد أمثال : ابن الرومى وديك الجن ويحيى بن زياد الحارثى(٢) .

ثانيا : لم يقتصر ابن المعتز فى كتابه على التراجم المجردة ولكنه كان

---

(١) مناهج التأليف عند العلماء العرب ٤٣٣ د/ الشكعة

(٢) المرجع السابق

يتحدث كثيرا عن الأحوال الاجتماعية فى عصره مصورا الجانب العابث فى المجتمع العباسى فيجمع بين قصص المجون التى حدثت والقصص الإنسانية المتعلقة بالأدباء مثل قصة محمود الوراق وجاريته سكن[1]

ثالثا : لم يهمل ابن المعتز الجانب الساخر فى المجتمع العباسى فيذكر فى كتابه طرفا أدبية ونوادر ونكات بقصد الترفيه عن القارىء ودفع السأم عنه فيذكر نوادر الحمقى والهزلين كما كان يفعل الجاحظ من قبل ويذكر أشعارا غاية فى العبث والمجون بقصد الاضحاك والترفيه أحيانا .

رابعا : والكتاب بعد هذا يعد من أمهات الكتب الأدبية والنقدية وهو مفيد للمتخصصين فى الأدب والنقد والتاريخ والحضارة ، بما اشتمل عليه من أشعار وأخبار ووصف للحالة الاجتماعية ، وفيه إلى جانب ذلك لفتات نقدية لا تخفى على الباحث المدقق .

---

(١) طبقات ابن المعتز ٢/١٥

نموذج من طبقات ابن المعتز

« بشار بن برد »

كان شاعرا مجيدا ، مفلقا ، ظريفا ، محسنا ، خدم الملوك وحضر مجالس الخلفاء ، وأخذ فوائدهم ، وكان يمدح المهدى ، ويحضر مجلسه ، وكان يأنس به ويدنيــه ويجزل له فى العطايا ، وكان صاحب صوت حسن ومنادمة .

وكان إذا حضر المهدى فى مجلس مع جواريه بعث إليه لأجل المسامرة والمحادثة .

وكان بشار يعد من الخطباء البلغاء الفصحاء ، وله قصائد وأشعار كثيرة فوشى به بعض من يبغضه إلى المهدى بأنه يدين بدين الخوارج فقتله المهدى

وقيل بل قيل للمهدى ، إنه يهجوك فقتله .

والذى صح من الأخبار فى قتل بشار أنه كان يمدح المهدى والمهدى ينعم عليه فرمى بالزندقة فقتله .

وقيل ضربه سبعين سوطا فمات .

وقيل : ضرب عنقه ، وكانت وفاته سنة سبع ، وقيل : ثمان وستين ومائة فى أيام المهدى .

ولما توفى تذكره المهدى وحسن معاشرته له كان أنيس مجلسه ، وقد كان معجبــا به وبشعره ، وكان يدنيه ، وكان بشار كفيفا قبل موته

بأربعين سنة ولهذا كان يحضر المجلس والجوارى عند المهدى لسكونه لايبصرهن .

وحكى أن المهدى لما قتل بشارا ندم على قتله ، وأحب أن يجد شيئا يتعلق به ، فبعث إلى كتبه فأحضرها وأمر بتفتيشها طمعا فى أن يجد فيها شيئا مما ضربه عليه فلم يجد من ذلك شيئا . ومر بطومار مختوم فظن أن فيه شيئا فأمر بنشره فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم : إنى أردت أن أهجو آل سليمان بن على بن عبد الله بن العباس ، فذكرت قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، فنمنى ذلك من هجوهم ، ووهبت جرمهم لله عز وجل ، وقد قلت بيتين لم أذكر فيهما عرضا ولم أقدح فى دين وهما :

دينار آل سليمان ودرهمهم ... كالبابليين شدا بالعفاريت
لايوجدان ولايرجى لقاؤهما ... كما سمعت بهاروت وماروت

فقال المهدى : الآن والله صح الندم[1] .

---

(١) انظر الترجمة كاملة فى طبقات ابن المعتز ص ٣١ وما بعدها تحقيق عبد الستار أحمد فراج

الفصل الرابع

كتب التراجم

١ – معجم الأدباء لياقوت الحموى :

التعريف بالمؤلف : هو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى الأصل ولد سنة أربع وسبعين وخمسمائة للهجرة فى بلاد الروم ثم أسر وهو صغير وسيق إلى بغداد فاشتراه تاجر اسمه عسكر بن إبراهيم الحموى ومن هنا كانت تسميته بالحموى .

وليس بصحيح أنه ولد فى مدينة حماة السورية فنسب إليها كما ذهب إلى ذلك ابن العماد[١] .

ثم إن سيده عسكر بن إبراهيم رغب فى أن يعلم فتاه مبادىء القراءة والكتابة والحساب حتى يساعده فى ضبط أمور تجارته ، وكان الأرقاء يتاجرون لمواليهم ويرتحلون ، ويبيعون ويشترون فقام ياقوت بالعديد من الأسفار[٢] .

ولم يكن هذا التاجر يعلم وهو يدفع بالصبى إلى الكتاب لينتفع به فى

(١) شذرات الذهب فى أحداث سنة٦٢٦هـ لابن العماد
(٢) مناهج التأليف عند العلماء العرب ٥٦٥ د/ الشكعة

تجارته أنه يفتح أمامه طريق العلم على مصراعيه ليصبح فيما بعد أحد الأئمة الذين أسهموا بنصيب كبير فى الحفاظ على ثروة التراث العربى ولم يكتف ياقوت الصبى بتحصيل العلم فى الكتاب بل عكف على قراءة الكتب يستوعب مافيها من لغة ونحو وأدب وكان كلما أرسله فى سفر انتهز الفرصة لاقتناء الكتب والتعرف على كبار الرواة والعلماء[١] .

وقد حدثت جفوة بين ياقوت وسيده انتهت بعتقه سنة ٥٩٦ هـ فأخذ يكسب رزقه من الوراقة ونسخ أمهات الكتب فأشبع بهذا العمل نهمه فى تحصيل العلم وتوسيع دائرة ثقافته حتى صار إماما من أئمة اللغة وعلما من أعلام الأدب وشيخا من شيوخ الجغرافيا وعلوم البلدان .

ويبدو أن سيده قد رضى عنه فقربه وأعطاه مبلغا من المال ليتاجر له به ، فسافر ياقوت للتجارة ولما رجع وجد أن سيده قد توفى فقدم لزوجته وأولاده جزءا من المال واحتفظ لنفسه بجزء وظل فى حل وترحال حتى انتهى به المطاف إلى دمشق سنة ٦٠٣هـ وأقام فى أسواقها غير أنه كان متأثرا بمذهب الخوارج شديد التعصب لهم وهناك فى مجلس من المجالس الأدبية ناظره أحد البغداديين فى دمشق فأعلن آراءه فى الخوارج كما أعلن تعصبه على علىّ بن أبى طالب وكرهه له ، فاستثار غضب الناس عليه وثورتهم به فهددوه بالقتل فخرج من دمشق خائفا يترقب وولى وجهه

---

(١) المصادر الأدبية واللغوية ٢٥١ د/ عز الدين اسماعيل

شطر حلب ومنها فر إلى الموصل وظل ينتقل من بلد إلى بلد حتى وصل خوارزم فصادف نزوله فيها خروج التتار سنة ٦١١هـ فتركها وعاد إلى الموصل مرة أخرى ومن الموصل كتب رسالة إلى القاضى جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف القفطى وزير صاحب حلب يصف فيها حاله وماحل به من متاعب وما تعرض له من مشقات ومخاطر فى رحلاته المتعددة ويذكر أن عزاءه الوحيد فى هذه الرحلات الشاقة هو تحصيل العلم[١].

وتوفى ياقوت فى سنة ٦٢٦هـ بظاهر مدينة حلب وكان قد وقف كتبه على مسجد الزبيدى ببغداد وسلمها إلى عز الدين على بن الأثير صاحب التاريخ الكبير لحملها إلى هناك[٣].

وقد خلف لنا ياقوت عددا ضخماً من كتب التراث الأدبى واللغوى من أبرزها :

١ - كتاب « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » وهو المسمى « معجم الأدباء » .

٢ - كتاب « معجم البلدان » .

---

(١) وفيات الأعيان ١٢٥/٩

(٢) معجم الأدباء المقدمة ص٣١

(٣) المصادر الأدبية واللغوية ٢٥٢ د/ عز الدين إسماعيل

٣ — كتاب « معجم الشعراء »

٤ — كتاب « المشترك وضعا المختلف صقعا »

٥ — كتاب « المقتضب من كتاب جمهرة النسب » ، وهو مازال مخطوطا .

٦ — كتاب « المبدأ والمآل فى التاريخ »

٧ — كتاب « الدول »

٨ — « أخبار المتنبى »[1]

---

(١) انظر الأعلام للزركلى ٨/١٣١ ط دار المعارف

معجم الأدباء

يعد كتاب « معجم الأدباء » من أعظم كتب التراجم وأكثرها فائدة لأن مؤلفه قد جعله قاصرا على تراجم الأدباء وبخاصة الذين اشتهروا منهم بالتأليف والتصنيف ، ولأن ياقوت قد توفى فى القرن السابع الهجرى فقد جمع فى كتابه معظم الأدباء الذين سبقوه حتى ذلك العصر .

وقد وضح ياقوت فى مقدمة كتابه الباعث على تأليف هذا الكتاب فقال :

فما زلت منذ غذيت بغرام الأدب ، وألهمت حب العلم والطلب مشغوفا بأخبار العلماء ، متطلعا إلى أنباء الأدباء ، أسائل عن أحوالهم ، وأبحث عن نكت أقوالهم بحث المغرم الصب ، والمحب عن المحب ، وأطرف على مصنف فيهم يشفى العليل ، ويداوى لوعة الغليل ، فما وجدت فى ذلك تصنيفا شافيا ، ولا تأليفا كافيا[1] .

فالدافع إلى تأليف الكتاب هو معالجة القصور الذى وجده فى المؤلفات الأدبية التى سبقته فأراد أن يعمل عملا يشفى غليله ويسد به النقص فأقدم على تأليف هذا الكتاب .

أما موضوع الكتاب ومادته فقد تحدث عنها ياقوت فى المقدمة بقوله :

---

(١) معجم الأدباء المقدمة ٤٣

وجمعت فى هذا الكتاب ما وقع إلى من أخبار النحويين ، واللغويين ، والنسابين ، والقراء المشهورين وأصحاب الرسائل المدونة ، وكل من صنف فى الأدب تصنيفا أو جمع فيه تأليفا مع إيثار الاختصار ، والإعجاز فى نهاية الإيجاز ، ولم آل جهدا فى إثبات الوفيات ، وتبيين المواليد والأوقات وذكر تصانيفهم ، ومستحسن أخبارهم والإخبار بأنسابهم وشىء من أشعارهم[١] .

وينقسم الذين يترجم لهم ياقوت إلى رجال قابلهم وعاصرهم ورجال لم يقابلهم سواء أكانوا معاصرين له أو سابقين على عصره ، والأولون يؤرخ لهم فى إسهاب لأنه عايشهم عن قرب وتعرف على أحوالهم وأخبارهم بنفسه .

والآخرون يذكر لهم ماقرأه أو سمعه عنهم حيث يقول . فأما من لقيته أو لقيت من لقيه فأوردك من أخباره ، وحقائق أموره مالاأترك لك بعده تشوفا إلى شىء ، وأما من تقدم زمانه وبعد أوانه فأورد من خبره ما أدت الاستطاعة إليه ، ووفقنى النقل عليه فى ترددى إلى البلاد ، ومخالطتى للعباد[٢] .

وقد تحدث ياقوت عن مصادره التى اعتمد عليها وأشار إلى أصحاب

---

(١) المقدمة ١/٤٨

(٢) المرجع السابق

المؤلفات السابقة فى هذا المجال كأبى محمد بن عبد الملك التاريخى وأبى محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه ، وأبى عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى وأبى سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى وأبى بكر محمد بن حسن الزبيدى وأبى المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر المغربى وغيرهم .

ولم ينس ياقوت أن يتعرض لمؤلفات هؤلاء الأعلام بالنقد والتمحيص فهو يقول على سبيل المثال عن كتاب محمد بن عبد الملك التاريخى (هذا مع أن كتابه صغير الحجم قليل التراجم محشو بالنوادر التى رددها) .

ولم يذكر ياقوت فى معظم الحالات أسماء الكتب التى انتقدها فى مقدمة كتابه فيما عدا كتاب على بن فضال المجاشعى وهو (شجرة الذهب فى أخبار أهل الأدب) وكتاب ابن الأنبارى وهو كتاب (نزهة الألبا فى أخبار الأدبا) وقد أعترف ياقوت أنه قد استفاد كثيرا من هذا الكتاب .

منهجه فى تأليف الكتاب :

رتب ياقوت أسماء الأدباء الذين ترجم لهم على حروف المعجم وكان أكثر دقة فى هذا العمل من الذين سبقوه أمثال المرزبانى ذلك أنه قد ألزم نفسه بالترتيب الأبجدى لا فى الحرف الأول فقط بل فى الحرف الأول والثانى والثالث والرابع وأكثر من هذا فقد التزم بهذا الترتيب فى الآباء

فإذا اتفق عدة رجال فى أسمائهم وأسماء آبائهم رتبهم على حسب تاريخ وفاتهم يقول فى ذلك .

« وجعلت ترتيبه على حروف المعجم أذكر أولا من أول اسمه (ألف) ثم من أول اسمه (باء) ثم (تاء) ثم (ثاء) إلى آخر الحروف وألتزم ذلك من أول حرف من الإسم وثانيه وثالثه ورابعه فأبدأ بذكر من اسمه (آدم) ألا ترى أن أول اسمه (همزة) ثم (ألف) ثم من اسمه إبراهيم لأن أول اسمه (ألف) وبعد الألف (باء) ثم كذلك إلى آخر الحروف والتزم ذلك فى الآباء أيضا فاعتبره فإنك إذا أردت الإسم تجد له موضعا واحدا لايتقدم عليه ولايتأخر اللهم إلا أن يتفق أسماء عدة رجال وأسماء آبائهم فإن ذلك مما لاحصر فيه إلا بالوفاة فإنى أقدم من تقدمت وفاته على من تأخرت »[1] .

وقد أدرك ياقوت ضخامة المادة التى يتألف منها كتابه ولهذا فقد عمد إلى وسيلتين أمكنه من خلالهما الاقتصاد بعض الشىء فى هذه المادة .

أما الوسيلة الأولى : فهى حذف الأسانيد إلا ماقل رجاله وقرب مناله وهو يؤكد أنه لم يفعل ذلك عن تقصير فى وسعه كما يقول الإثبات والإسناد سماعا وإجازة .

---

(١) مقدمة معجم الأدباء ص ٥٠ ياقوت

وأما الوسيلة الثانية : التى مكنته من الاقتصاد فى مادة كتابه فهى قصر معجمه على من اشتهر بالتصنيف والتأليف وصحة الرواية - أى من قل شعره وكثر نثره .

على أنه يضم إلى هؤلاء الشعراء الذائعى الصيت الذين قاموا بتصنيف كتاب أو أكثر مثل : أبى تمام والبحترى وأبى العلاء .

أما الشعراء الذين اشتهروا بشعرهم فحسب فقد خصص لهم كتابا كان قد شرع فى تأليفه عند شروعه فى كتاب معجم الأدباء أو قبله[1] .

وقد ألهم ياقوت المقدمة بفصلين :

تحدث فى أولها : عن فضل الأدب وأهله وذم الجهل وحملته .

وقد أورد فى هذا الفصل كل ماحفظه من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقوال الخلفاء الراشدين وكبار الكتاب والشعراء التى تشيد بالعلم وأهله وتحذر من الجهل وعواقبه .

وتحدث فى الفصل الثانى عن فضيلة (علم الأخبار) وهو علم كما يقول يستمتع بسماعه العالم ويستعذب موقعه الأحمق والعاقل وينزع إليه الخاص والعامى ، ويميل إلى روايته العربى والعجمى .

---

(١) انظر : مصادر الأدب واللغوية ص ٢٥٤ ومقدمة معجم الأدباء ٤٨/١

ويرى أن علم الأخبار لايستغنى عنه عالم ولا أديب وقلما يشرف إنسان بغير معرفته حيث يقول :

وكان أبو زيد الأنصارى لايعدو النحو فقال له خلف الأحمر قد ألححت على النحو لم تعده ولقلما ينبل منفرد به .

فعليك بالأخبار والأشعار[1] .

وبعد ذلك يشرع ياقوت فى ترجمته للأدباء وقد تحدث عن عدد كبير من الأدباء منذ القرن الأول الهجرى وحتى العصر الذى ألف فيه الكتاب وقد بلغت مجموع تراجمه خمس وستون وألف ترجمة وبذلك كان كتابه سفرا هائلا لتراجم الأدباء ومرجعا لاغنى عنه لأديب أو باحث فى الأدب أو الحضارة أو التاريخ .

وقد قام على إصدار الطبعة الأولى من هذا الكتاب بمساعدة نخبة من العلماء الأستاذ المستشرق « مارجليوث » عام ١٩٠٧م . كما قام على إصدار الطبعة الثانية التى طبعت بدار المأمون المصرية عام ١٩٣٦م الأستاذ أحمد فريد رفاعى وتمتاز الطبعة الثانية بزيادات وتعليقات وفهارس وافية للأعلام والبلدان والكتب[2] .

---

(١) انظر المصادر الأدبية واللغوية ص٢٥٦

(٢) معجم الأدباء ١/٩٥

نموذج من الكتاب

باب الألف : آدم بن أحمد بن أسد الهروى

أبو سعد النحوى اللغوى ، حاذق ، مناظر ، ذكره الحافظ أبو سعد السمعانى فقال هو من أهل هراة ، سكن بلخ كان أديبا فاضلا عالما بأصول اللغة صائبا ، حسن السيرة قدم بغداد حاجا سنة عشرين وخمسمائة ، ومات فى الخامس والعشرين من سنة ست وثلاثين وخمسمائة ولما ورد بغداد اجتمع إليه أهل العلم وقرأوا عليه الحديث والأدب وجرى بينه وبين الشيخ أبى منصور موهوب بن أحمد بن الخضر الجواليقى ببغداد مناظرة فى شىء اختلفا فيه فقال له الهروى : أنت لا تحسن أن تنسب نفسك

فإن الجواليقى نسبة إلى الجمع والنسبة إلى الجمع بلفظه لا تصح ، قال : وهذا الذى ذكره الهروى نوع مغالطة فإن لفظ الجمع إذا سمى به جاز أن ينسب إليه بلفظه كدائنى ومعافرى وأنمارى وما أشبه ذلك .

قال مؤلف هذا الكتاب : وهذا الاعتذار ليس بالقوى لأن الجواليق[1] ليس باسم رجل فيصح ماذكره وإنما هو نسبة إلى بائع ذلك والله أعلم ، فإن كان اسم رجل أو قبيلة أو موضع تنسب إليه صح ماذكره .

وقال الحافظ الإمام السمعانى : سمعت أبا القاسم الطريفى يقول : سمعت أبا سعد الهروى المؤدب يقول : سئل سفيان الثورى عن التقوى فأنشد :

إنى وجدت فلا تظنوا غيره   هذا التورع عند ذاك الدرهم

---

(١) الجواليق : وعاء من صوف او شعر وهوالذى يقول عنه العامة : شوال .

فإذا قدرت عليه ثم تركته   فاعلم بأن هناك تقوى المسلم

وكان الرشيد محمد بن عبد الجليل الملقب بالوطواط كاتب الإنشاء لخوارزم شاه من تلاميذ الشيخ أبى سعد آدم بن أحمد الهروى وانتقل الرشيد من بلخ إلى خوارزم وأقام بها فى خدمة (خوازم شاه) أشهرا وكان يكاتب الشيخ أبا سعد ويخضع له ويقر بفضله فما كتب إليه رسالة نسختها :

كتابى وفى الأحشاء وجد على وجـد
إلى الصـدر مولانا الأجل أبا سعد
أشم طويل الباع أصبح رافعا   إلى قمة الأفلاك ألوية المجـد
سراة بنى الإسلام عقد جواهر   وفيهم أبو سعد كواسطة العقد

سقى الله أيامنا بالعقيق ، ودهورنا باللوى ، وأعوامنا بالخليصاء ، وشهورنا بالحمى ، فإن هذه المعانى لألفاظ المسرات كالمعانى فيها أثمار أطايب الأمانى من أشجار وصال الغوانى . لابل مواقفنا ببلخ فى المدرسة النظامية واجتماعنا فى المجالس الأجلية الإمامية :

مجالس مولانا أبى سعد الذى   به سعد الأيام والدين والدنيا
همام حوى يوم الفخار بنانه   على رغم آناف العدا قصب العليا

الإمام أبو سعد ، وما أدراك ما الإمام أبو سعد ، سعد كله ، خير قوله ونعله ، صاحب جيوش الفصاحة ، ومالك رقاب البلاغة ، وناظم عقد

المحامد ، وجامع شمل المكارم وناشر أودية الفضل والكرم وعامر أبنية الأدب والحكم .

لله در إمام كله أدب بفضله يتحلى العجم والعرب

الله يعلم أنى وإن شط المزار ، وشحطت الديار ، لاأقطع أكثر أوقاتى ولا أزجى أغلب ساعاتى إلا فى مدح معاليه ، وشرح أياديه ، لو أنفقت جميع عمرى فى ذلك وسلكت طول دهرى تلك المسالك :

لما كنت أقضى بعض واجب حقه
ولا كنت أحصى من صنائعه عشرا

وكيف لاأبالغ فى ثنسائه ولا أواظب على دعائه ، وهو الذى رفع قدرى ، وشرح للآداب صدرى ، وسقانى كؤوس العلم ، وأحشائى صادية ، وكسانى حلل الفضل وعوراتى بادية ، اغترفت من بحاره ، واقتطفت ما اقتطفت من ثماره :

وأنت الذى عرفتنى طرق العلا
وأنت الذى هديتنى كل مقصد
وأنت الذى بلغتنى كل رتبة
مشيت إليها فوق أعناق حسدى

عبد مجلسه الشريف أخى عمر ـ أيده الله ـ ورد من خراسان ذاكرا لما يجرى على لسانه الكريم فى المجالس والمحافل بين يدى الأكابر

والأماثل من مدحى وثنائى ، وتقريظى وإطرائى فما استبعدت ذلك من خصائص كرمه ، ولا استغربته من لطائف شيمه ، وكانت كلماته حاملة لى على هذا التصديع[1] لمجلسه الرفيع ، ورأيه فى سحب ذيل العفو على هذا التجاسر ، وتبليغ تحيتى إلى القارئين عليه والمختلفين إليه من أبناء جنسى وشركاء درسى يقتضى الشرف والسلام .

---

(١) التصديع : صدعت إلى الشىء : ملت إليه

ثانيا : وفيات الأعيان (لابن خلكان)

هذا الكتاب ألفه شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان ولد باربل سنة ٦٠٨ هـ وتلقى العلم على علمائها وشيوخها أمثال : محمد بن وهبة الله بن مكرم الصوفى الذى شرح له صحيح البخارى وكذلك المؤيد الطوسى وعبد المعز الهروى وغيرهم من الأعلام .

كما تلقى العلم على يديه عدد غير قليل من الأفاضل ومالبث أن أصبح علما من أعلام العربية وشيخا من شيوخ الأدب والشعر ، وأيام الناس ، كما وصف بأنه كان كثير الاطلاع ، حلو المذاكرة وافر المعرفة ذا رياسة ووجاهة بين الناس .

وكعادة العلماء فى ذلك الزمان لم يستقر ابن خلكان فى موطنه الأصلى وإنما رحل إلى الموصل وحلب ومصر .

وفى مصر تولى القضاء نائبا عن قاضيها بدر الدين السنجارى ثم رحل إلى الشام سنة ٦٥٩ هـ ومالبث أن تولى القضاء بها للشافعية ، وتصادف أن قضاة المذاهب الأربعة الشافعية والأحناف والمالكية والحنابلة كان كل واحد منهم يلقب بشمس الدين وابن خلكان منهم فتندر بهم أحد شعراء دمشق إذ يقول :

أهل دمشق استرابوا من كثرة الحكام
إذ هم جميعا شموس وحالهم فى الظلام

ثم عزل ابن خلكان من القضاء فى دمشق ورحل إلى مصر واستقبله أهلها إستقبالا رائعا مشهودا وتولى قضاءها لمدة سبع سنوات ثم عاد بعدها إلى دمشق معززا مكرما فاستقبله أهلها هذه المرة أحسن استقبال وأشادوا به وبعدله وفى ذلك يقول شاعرهم سعد الدين الفارقى :

أذقت الشام سبع سنين جدبا غداة هجرته هجرا جميلا
فلما زرته من أرض مصر مددت عليه من كفيك نيلا

ويشبهه شاعر آخر بيوسف عليه السلام حيث يقول :

أنت فى الشام مثل يوسف فى مصـ ـر وعندى أن الكرام جناس
ولكل سبع شداد وبعد الـ ـسبع عام يغاث فيه الناس

ويجمع الذين ترجموا له على أنه كان إماما فاضلا متقنا حسن الفتاوى جيد القريحة ، كريما مفضالا ، عالما بالشعر والأخبار وله شعر جيد غير أن معظمه فى الغزل كقوله :

وسرب ظباء فى غدير تخالهم بدورا بأفق الماء تبدو وتغرب
يقول عذولى والغرام مصاحبى أمالك عن هذى الصبابة مذهب
وفى حبك المطلول خاضوا كما ترى
فقلت له : ذرهم يخوضوا ويلعبوا (١)

---

(١) انظر تقديم الكتاب للدكتور . إحسان عباس

وابن خلكان هو صاحب كتاب « وفيات الأعيان » وقد سماه « وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان مما ثبت بالنقل والسماع أو أثبته العيان » وهو عنوان مفرط فى الطول ولذا فقد اشتهر بين الأدباء بالمقطع الأول من عنوانه وهو : « وفيات الأعيان » .

وقد توفى ابن خلكان سنة ٦٨١هـ فرثاه بعض الشعراء كقول شهاب الدين بن غانم كاتب الإنشاء :

يا شمس علوم فى الثرى قد غابت ... كم نبت عن الشمس وهى ما نابت
لم تأت بمثلك الليالى أبدا ... إما قصرت عنه وإما هابت[1]

وهو شعر ردىء اللفظ ، ركيك العبارة ، مفكك الأوصال ولكنه يدل على حب الناس له وتقديرهم لفضله .

أما كتاب « وفيات الأعيان » فهو سجل حافل بتراجم المشهورين فى مجالات تخصصهم فى العالم الإسلامى . آنذاك - من حدود الصين شرقا إلى بلاد الأندلس غربا فضم الكتاب ترجمات لثمانمائة وستة وعشرين من مشاهير الأدباء والعلماء والأطباء والفلاسفة هذا إلى جانب الملوك والأمراء والوزراء كما ضم الكتاب عددا من تراجم النساء المشهورات .

أما منهج الكتاب فقد وضحه المؤلف فى مقدمته وهو منهج علمى سليم

---

(١) انظر ترجمة ابن خلكان فى فوات الوفيات ١/١٠ والنجوم الزاهرة ٧/٣٥٣ وطبقات السبكى ٥/١٤ وقضاة دمشق ٧٦

حيث بدأ المؤلف عمله بالقراءة سنوات عديدة ثم أخذ يجمع المادة العلمية التى يشتمل عليها كتابه وجعلها فى مسودات عديدة ثم أخذ يتثبت من صحتها ودقتها وأمانة رواتها ويوردها مرتبـة ترتيبا أبجديا يقول فى مقدمته .

« هذا مختصر فى التاريخ دعانى إلى جمعه أنى كنت مولعا بالاطلاع على أخبار المتقدمين من أولى النباهة وتواريخ وفياتهم وموالدهم ومن جمع منهم كل عصر فوقع لى منه شىء حملنى على الاستزادة وكثرة التتبع فعمدت إلى مطالعة الكتب الموسومة بهذا الفن وأخذت من أفواه الأئمة المتقنين له مالم أجده فى كتاب ، ولم أزل على ذاك حتى حصل عندى منه مسودات كثيرة فى سنين عديدة ، وغلق على خاطرى بعضه فصرت إذا احتجت إلى معاودة شىء منه لا أصل إليه إلا بعد التعب فى استخراجه لكونه غير مرتب ، فاضطررت إلى ترتيبه .

فرأيته على حروف المعجم أيسر منه على السنين ، فعدلت إليه والتزمت فيه تقديم من كان أول اسمه الهمزة ثم من كان ثانى حرف من اسمه الهمزة أو ماهو أقرب إليها على غيره فقدمت إبراهيم على أحمد لأن الباء أقرب إلى الهمزة من الحاء وكذلك فعلت إلى آخره ليكون أسهل للتناول[1] » .

---

(١) انظر مقدمة المؤلف ص ٢٠ ط دار صادر بيروت

وفى تواضع العلماء المحققين يذكر ابن خلكان أنه غير معصوم من الخطأ وأن من وجد فى كتابه خطأ فعليه إصلاحه وأجره على الله حيث يقول : فمن وقف عليه من أهل الدراية بهذا الشأن ورأى فيه خللا فهو المثاب فى إصلاحه بعد التثبت فيه ، فإنى بذلت الجهد فى التقاطه من مظان الصحة ، ولم أتساهل فى نقله ممن لا يوثق به بل تحريت فيه حسبما وصلت القدرة إليه ، وكان ترتيبى له فى شهور سنة أربع وخمسين وستمائة بالقاهرة المحروسة[1] .

ويمكننا من خلال قراءتنا لهذا المصدر أن نوضح الآتى :

١ - رتب ابن خلكان مادة كتابه - كما قال - ترتيبا أبجديا كما فعل ياقوت الحموى فى (معجم الأدباء) ولكن ابن خلكان لم يحافظ فى هذا الترتيب إلا على الحرف الأول فى الاسم فقط دون مراعاة لترتيب باقى حروف الاسم مما يؤدى إلى شىء من الصعوبة أمام الباحث .

وطريقته فى تراجمه أنه يذكر اسم الشخص واسم أبيه وجدة ثم نسبه ومولده وزمن وفاته ثم يذكر المعالم البارزة فى حياته وثقافته وشيوخه وتلاميذه وأخلاقه وصلاته برجال عصره ثم يتحدث عن مؤلفاته وآثاره ونموذج من شعره أو نثره إذا كان كاتبا أو شاعرا .

وإذا كان ابن خلكان لم يلتزم الدقة فى الترتيب الأبجدى للأعلام

---

(١) ترجمة المؤلف ص ٢١

فقد عوض هذا النقص بضبطه للأعلام التى تحتاج إلى ضبط وذلك بالحروف دون الحركات فيقول عن طرخان مثلا إنها بفتح الطاء المهملة وسكون الراء وفتح الخاء المعجمة وبعد الألف نون ، كذلك يحرص على ضبط النسبة فالأبيوردى بفتح الهمزة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة وفتح الواو وسكون الراء وبعدها دال مهملة وهذه النسبة إلى أبيورد وهى بلدة بخراسان .

٢ ـ حرص المؤلف على تسجيل سنة الميلاد ومكانه لكل علم يترجم له كما حرص على تسجيل سنة الوفاة ومكانها وإذا كان هناك خلاف بين سنى الميلاد أو الوفاة فإنه يذكر هذا الخلاف ثم يرجح مايرى أنه الصواب .

٣ ـ استطاع ابن خلكان بثقافته الأدبية والنقدية أن يضيف إلى كتابه كثيرا من آرائه النقدية الصائبة من خلال عرضه لآثار من يترجم لهم من الأدباء كما نرى فى ترجمته للبحترى والحريرى مثلا وبذلك استطاع أن يضيف إلى كتابه ماجعله أكثر من مجرد كتاب فى الفهارس والترجمة .

٤ ـ والكتاب بعد هذا يعد من أهم كتب التراجم لأنه جاء فى مرحلة متأخرة نسبيا حيث نقل ابن خلكان كثيرا من كتب السابقين التى ضاعت ولم يبق إلا اسمها ، ومن ناحية أخرى فهو لم يقصر كتابه على طائفة معينة أو وقف به عند عصر معين أو قصره على تخصص واحد وبذلك جاء الكتاب فى صورة موسوعة لتراجم الفضلاء فى العصور السابقة لعصر المؤلف .

ولذا فقد اهتم به العلماء والمحققون والدارسون منذ عصر المؤلف ،

فمن الذين اختصروه وذيلوا عليه .

مختصر ابنه موسى ، ومختصر البارزى ، ومختصر بن حبيب .

ومختصر وجدى بن إبراهيم المتوفى سنة ١١٢١هـ[1] .

أما الذين ألفوا على غراره فمنهم :

١ - الموفق فضل الله بن فخر الصقاعى فى كتابه « تالى وفيات الأعيان»
وقد ترجم فيه لمن توفى بمصر من ٦٦٠هـ إلى ٧٢٥هـ

٢ - محمد بن شاكر الكتبى فى كتابه « فوات الوفيات »
وقد ذكر فيه مافات ابن خلكان من تراجم .

٣ - صلاح الدين الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤هـ فى كتابه « الوافى بالوفيات » وهو كتاب ضخم يقع فى ثلاثين مجلدا تشتمل على ثلاثة آلاف وتسعمائة وإحدى عشرة ترجمة .

وقد طبع الكتاب فى باريس سنة ١٨٣٨م وأعيد طبعه سنة ١٨٤٢م أما فى مصر فقد طبع عدة طبعات منها طبعة بولاق سنة ١٨٨١م ثم طبعة السعادة بتحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد فى ستة أجزاء ثم طبعة دار الثقافة ببيروت سنة ١٩٦٨م بتحقيق إحسان عباس .

---

(١) فى مصادر التراث العربى ٤٤٤ د/ السعيد الورقى

نماذج من تراجم الكتاب

١ - أبو ثور صاحب الشافعى:

أبو ثور إبراهيم بن خالد بن أبى اليمان الكلبى الفقيه البغدادى صاحب الامام الشافعى رضى الله عنه ، وناقل الأقوال القديمة عنه .

وكان أحد الفقهاء الأعلام والثقات المأمونين فى الدين ، له الكتب المصنفة فى الأحكام جمع فيها بين الحديث والفقه ، وكان أول اشتغاله بمذهب أهل الرأى ، حتى قدم الشافعى العراق فاختلف إليه واتبعه ورفض مذهبه الأول ، ولم يزل على ذلك إلى أن توفى لثلاث بقين من صفر سنة ست وأربعين ومائتين ببغداد ودفن بمقبرة باب الكناس رحمه الله تعالى .

وقال أحمد بن حنبل : هو عندى فى مسلاخ سفيان الثورى أعرفه بالسنة منذ خمسين سنة(١) .

٢ - بديع الزمان الهمذانى :

أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذانى الحافظ المعروف ببديع الزمان ، صاحب الرسائل الرائقة ، والمقامات الفائقة ، وعلى منواله نسج الحريرى مقاماته ، واحتذى حذوه ، واقتفى أثره واعترف فى

---

(١) وفيات الأعيان ٢٦/١ ط بيروت

خطبته بفضله ، وأنه الذى أرشده إلى سلوك ذلك المنهج ، وهو أحد الفضلاء العظماء روى عن أبى الحسين أحمد بن فارس صاحب المجمل فى اللغة ، وعن غيره ، وله الرسائل البديعة والنظم المليح ، وسكن هراة من بلاد خراسان .

فمن رسائله « الماء إذا طال مكثه ، ظهر خبثه ، وإذا سكن متنه تحرك نتنه ، وكذلك الضيف يسمج لقاؤه إذا طال ثواؤه ، ويثقل ظله إذا انتهى محله والسلام .

وكانت وفاته سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة مسموما بمدينة هراة رحمه الله(١) .

---

(١) وفيات الأعيان ١٢٧/١ ابن خلكان ط بيروت

ثالثا : «فوات الوفيات» لابن شاكر الكتبي

ينسب هذا الكتاب للكتبي وهو : محمد بن شاكر بن عبد الرحمن الكتبي الداراني الدمشقي ولد في قرية (داريا) من قرى دمشق في بلاد الشام وكانت ولادته في سنة ٦٨٦ هـ على أرجح الأقوال .

تلقى العلم على شيوخ بلدته وعلمائها أمثال : ابن الشحنة والمزي وغيرهما من علماء عصره .

نشأ الكتبي فقيرا معدما فعمل بحرفة الوراقة والنسخ والمتاجرة في الكتب فاستفاد من ذلك فائدة علمية وثقافية عن طريق قراءته للكتب التي بين يديه .

كما استفاد فائدة مادية حيث أصاب أرباحا وافرة من تجارته في الكتب وبذلك أقبلت عليه الدنيا ، وكثر في يديه المال وربما كانت جودة خطه ووضوحه سببا في إقبال العلماء على كتبه واقتنائها .

كما تفيد المصادر أنه كان حسن الخلق لين الجانب ذا مروءة في معاملة الناس مما أكسبه ودهم وصداقتهم وإقبالهم على كتبه فجنى من وراء ذلك أموالا طائلة ...

وعلى الرغم من أنه وصف نفسه في مقدمة كتابه بأنه كثير المطالعة والمراجعة لكتب السابقين فقد كان أقل ثقافة وعلما من الأدباء المشهورين الذين عملوا في حرفة الوراقة أمثال : أبي حيان التوحيدي فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة كما كان يعرف في عصره .

ويبدو لمن يطلع على نسخة «الفوات» أن الرجل كان لا يكترث

كثيرا بمراعاة الأصول النحوية واللغوية وربما كانت معرفته بالنحو واللغة بسيطة ساذجة وهذا يبدو واضحا إذا قارناه بمؤلفى كتب التراجم من معاصريه فهم يميلون — فى الأغلب — إلى استعمال أسلوب مبسط فيه كثير من طبيعة الحديث الدارج ولكنهم لا يبلغون فى ذلك مبلغ ابن شاكر[1]

وعلى الرغم من ثقافته المحدودة فقد ساهم مساهمة فعالة فى حركة التأليف والتصنيف على قدر طاقته وخلف للمكتبة العربية كتابين :

أولهما : هذا الكتاب الذى نحن بصدد دراسته .

وثانيهما : كتاب آخر لا يزال مخطوطا سماه « عيون التواريخ »

وقد ذكر حاجى خليفة أنه يقع فى ست مجلدات[2]

وتذكر المصادر أن ابن شاكر عاش حتى رمضان سنة ٧٦٤ هـ

يقول ابن كثير (وفى يوم السبت الحادى عشر من رمضان — من العام المذكور — صلينا بعد الظهر على الشيخ محمد بن شاكر الكتبى — رحمة الله عليه[3]

كتاب فوات الوفيات :

قدم ابن شاكر كتابه هذا بمقدمة قصيرة ذكر فيها أنه قام بجمعه وترتيبه بعد أن اطلع على وفيات الأعيان لابن خلكان فوجد أنه لم يذكر أحدا

---

(١) انظر تقديم فوات الوفيات ص ٣ بقلم د. إحسان عباس
(٢) كشف الظنون ٢ : ١٨٥ حاجى خليفة
(٣) البداية والنهاية ١٤ : ٣٠٢ ابن كثير

من الخلفاء وأنه أخل بتراجم بعض فضلاء زمانه فأحب أن يستدرك عليه ما فاته ويذيل على كتابه .

يقول فى هذه المقدمة بعد أن حمد الله تعالى وأثنى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وآله .

« فإن علم التاريخ هو مرآة الزمان لمن تدبر ، ومشكاة أنوار يطلع بها على تجارب الأمم من أمعن النظر وتفكر وكنت ممن أكثر لكتبه المطالعة واستجلى من فوائده المطالعة والمراجعة .

فلما وقفت على كتاب « وفيات الأعيان » لقاضى القضاة ابن خلكان قدس الله روحه وجدته من أحسنها وضعا ، لما اشتمل عليه من الفوائد الغزيرة والمحاسن الكثيرة غير أنه لم يذكر أحدا من الخلفاء ورأيته قد أخل بتراجم بعض فضلاء زمانه ، وجماعة ممن تقدم على أوانه ، ولم أعلم أذلك لذهول عنهم ، أو لم يقع له ترجمة أحد منهم ؟

فأحببت أن أجمع كتابا يتضمن ذكر من لم يذكره من الأئمة الخلفاء ، والسادة الفضلاء أذيل فيه من حين وفاته إلى الآن فاستخرت الله تعالى فشرح لذلك صدرى ، وتوكلت عليه وفوضت إليه أمرى ووسمته بـ « فوات الوفيات »

والله تعالى المسئول أن يوفق فى القول والعمل ، وأن يتجاوز عن هفوات الخطأ والخطل [1]

---

(١) انظر مقدمة المؤلف ص ٢٠

فابن شاكر يصرح في هذه المقدمة أنه أراد أن يكمل النقص الذى فى كتاب (وفيات الأعيان) لأن ابن خلكان أخل بتراجم الخلفاء وبعض الفضلاء فأراد أن يجبر هذا النقص فى كتابه .

ولاشك أن هذا الكلام من ابن شاكر فيه شيء من المغالطة والخلط لأن ابن خلكان قد صرح بأنه لا ينوى أن يترجم للخلفاء وأنه لن يذكر فى كتابه إلا من عرف عنه وفاته حيث يقول فى مقدمة (ولم أذكر فى هذا المختصر أحداً من الصحابة رضوان الله عليهم ، ولا من التابعين رضى الله عنهم إلا جماعة يسيرة تدعو حاجة كثير من الناس إلى معرفة أحوالهم ، وكذلك الخلفاء لم أذكر أحداً منهم اكتفاء بالمصنفات الكثيرة فى هذا الباب .

لكن ذكرت جماعة من الأفاضل الذين شاهدتهم ونقلت عنهم أو كانوا فى زمنى ولم أرهم ليطلع على حالهم من يأتى بعدى)[1]

وواضح من هذا الكلام أن ابن خلكان لم يغفل عن ذكر هؤلاء وهؤلاء لذهول عنهم أو لأنه لم يقع له ترجمة أحد منهم كما يدعى ابن شاكر الكتبى .

ويبدو أن ابن شاكر كان معجبا بأستاذه ابن خلكان فأراد أن يقلده فى عمله وأن ينسج على منواله فلجأ إلى هذه الطريقة ليبرر عمله وليقبل الناس على شراء كتابه وتداوله .

---

(١) انظر مقدمة « وفيات الاعيان » المؤلف ص ٢٠ .

وعلى الرغم من ذلك فإن الكتاب يعد من كتب التراجم المفيدة للباحثين والدارسين ويكفى صاحبه أنه ترجم لعدد كبير من العلماء والأدباء والملوك والأمراء والوزراء والفضلاء حتى بلغت تراجمه ثلاثا وثمانين وأربعمائة ترجمة وقد رتبها على الحروف الأبجدية كما فعل ياقوت وابن خلكان من قبل بدأها بإبراهيم بن أدهم العجلى العالم الزاهد المجاهد وختمها بيونس بن مودود بن محمد بن أيوب .

ونظراً لتأخر المؤلف فى الزمن فقد غطى كتابه مساحة كبيرة من أعلام القرن الثامن الهجرى ، كما ترجم لجماعة من أعلام الأندلس وفضلائها .

ولم يغفل أن يترجم لبعض شهيرات النساء فى المشرق والمغرب أمثال : السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن رضى الله تعالى عنها ، وليلى الأخيلية ، وعليه بنت المهدى وفضل جارية المتوكل وحمدونة بنت المستكفى الشاعرة الأندلسية المشهورة .

ويؤخذ عليه أنه لا يهتم كثيرا بتسجيل وفيات أعيانه كما كان يفعل ابن خلكان وهذا عيب لا شك فيه كما أنه لم يكن يضبط الأسماء والألقاب والأنساب والبلاد كما فعل أستاذه من قبل . ولعل لضعف ثقافته وقلة معلوماته أثراً واضحاً فى ذلك وذلك عكس ابن خلكان العالم الأديب الموسوعى .

ويبدو أن ابن شاكر كان عالة على الذين سبقوه فى هذا العمل كما كان عالة على الصفدى صاحب « الوفيات بالوفيات » .

يقول الدكتور : إحسان عباس ويتراءى لى أن مؤلف « الفوات » وجد أمامه كتاب الصفدى « الوافى بالوفيات » فاختار منه عددا من التراجم وجعل مصنفه الجديد فى أربع مجلدات وتولى ماينقله ببعض الاختصار ولم يزد شيئا فى المعلومات التاريخية والإخبارية ، وإنما زاد فى بعض المختارات الشعرية وأكثر منها بشكل واضح فى بعض التراجم وحاول حقا أن لا يكرر ما أورده ابن خلكان من تراجم إلا أن ذلك لم يكن مطردا دائما(١)

ومهما يكن : فإن هذا الكتاب يعد لبنة فى بناء صرح هذه السلسلة من تراجم الأعيان وهو جهد مشكور قام به المؤلف على قدر طاقته وهو مفيد بلا شك للذين يعملون فى حقل الأدب والتاريخ والثقافة .

---

(١) تقديم فوات الوفيات ص ٤ د / إحسان عباس

نموذج من الكتاب

إبراهيم بن أدهم

إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر أبو اسحاق العجلى وقيل النخعى البلخى الواعظ أحد الأعلام .

روى عن أبيه ومنصور ومحمد بن زياد الجمحى وأبى جعفر الباقر ومالك ابن دينار وأبى نعيم وأبى موسى والأعمش .

قال الفضل بن موسى : حج أدهم بأم إبراهيم وهى حبلى فولدت إبراهيم بمكة فجعلت تطوف به على الحلق فى المسجد وتقول : أدعوا لابنى أن يجعله الله صالحا .

وأخباره مشهورة فى مبتدإ زهده ، وطريقه مشهورة .

قيل غزا فى البحر مع أصحابه، فاختلف فى الليلة التى مات فيها إلى الخلاء خمسا وعشرين مرة كل مرة يجدد الوضوء فلما أحس بالموت قال : أوتروا لى قوسى وتوفى وهى فى كفه ، ودفن فى جزيرة من جزائر البحر فى بلاد الروم .

قال إبراهيم بن يسار الصوفى : كنت ماراً مع إبراهيم بن أدهم فأتينا على قبر مسنم فترحم عليه إبراهيم ثم قال : هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن كلها كان غارقا فى بحار الدنيا ثم أخرجه الله منها ، بلغنى أنه سر ذات يوم بشىء ونام فرأى رجلا بيده كتاب فناوله ففتحه فإذا فيه مكتوب بالذهب : لا تؤثرن فانيا على باق ولا تفرحن بملكك فإن ما أنت

فيه جسيم إلا أنه عديم فسارع إلى الآخرة فإن الله تعالى يقول : «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعـدت للمتقين » فانتبه فزعا وقال : هذا تنبيه من الله تعالى وموعظة ، فخرج من ملـكه فأتى هذا الجبل وعبد الله فيه حتى مات .

وقال : رأيت فى النوم كأن قائلا يقول لى : أيحسن بالحر المريد أن يتذلل للعبيد ، وهو يجد عند الله كل ما يريد ؟

وقال النسائى : إبراهيم أحد الزهاد وهو مأمون ثقة .

وقال الدارقطنى : ثقة .

وقال البخارى : مات سنة إحدى وستين ومائة ، وسيرته فى « تاريخ دمشق » ثلاث وثلاثون ورقة وهى طويلة فى « حلية الأوليـاء » رحمه الله تعالى[1] .

---

(١) فوات الوفيات ١/١٤ ، الكتبى

رابعا : « الوافى بالوفيات » للصفدى

مؤلف هذا الكتاب عالم ، أديب ، كاتب ، شاعر ، خطاط ، رسام ، متعدد المواهب والملكات وهو : صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدى .

ولد فى صفد سنة ٧٧٦هـ وقيل فى سنة ٧٧٧هـ على خلاف فى ذلك .

وقد تلقى العلم على كبار علماء عصره أمثال : الشهاب محمود وابن سيد الناس ، وابن نباته وأبى حيان المصرى ويونس الدبوسى وغيرهم من العلماء الأعلام .

وماليث الصفدى أن فاق أقرانه وبز أترابه وتفوق حتى على شيوخه ومن العجيب أن يتتلمذ عليه بعض أساتذته عندما كبر وأصبح عالما كبيراً يجلس للدرس ومن هؤلاء : الذهبى ، وابن كثير والحسينى وغيرهم .

وقد أجمع الذين ترجموا له : أنه كان محببا من الناس حسن المعاشرة ، جميل المودة بارعا فى الكتابة والشعر والإنشاء كما كان بارعا فى الخط والرسم .

قال الذهبى فى حقه «الأديب البارع الكاتب شارك فى الفنون ، وتقدم فى الإنشاء ، وجمع وصنف » .

وقال الحسينى كان إليه المنتهى فى مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم .

وقال ابن سعد كان من بقايا الرؤساء الأخيار وقد وجد بخطه : كتبت بيدي مايقارب خمسمائة مجلدة .

قال : ولعل الذى كتبه فى ديوان الإنشاء ضعفا ذلك .

وقد خلف الصفدى للمكتبة العربية عدداً كبيرا من المصنفات فى الأدب والتراجم والأخبار منها .

« الغيث المسجم فى شرح لامية العجم » و « جنان الجناس » و « تشنيف السمع فى انسكاب الدمع » و « دمعة الباكى » و « تحفة ذوى الألباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب » .

«وقهر الوجوه العابسة فى نسب الشراكسة» .

ثم كتابه الضخم والذى نحن بصدد دراسته (الوافى بالوفيات) ويقع فى ثلاثين مجلدة على حروف المعجم ، وأفرد منه أهل عصره فى كتاب مستقل سماه (أعوان النصر وأعيان العصر) فى ست مجلدات هذا بالإضافة إلى عدد آخر من الكتب القيمة منها (ألحان السواجع بين المبادى والمراجع) و (جر الذيل فى وصف الخيل) و (كشف الحال فى وصف الخال) وعدد آخر من المصنفات فى مختلف العلوم والفنون مما يدل على أن الصفدى كان ذا ثقافة موسوعية فهو يذكرنا بالأعلام من المؤلفين أمثال الجاحظ وابن قتيبة والثعالبي .

وقد توفى - رحمه الله - بدمشق فى ليلة العاشر من شوال سنة ٧٦٤هـ

بعد ابن شاكر الكتبي بشهر واحد[١] .

كتاب الوافي بالوفيات :

بدأ المؤلف رحمه الله تعالى كتابه هذا بمقدمة طويلة بين فيها الدافع إلى تأليفه وتحدث عن منهجه فيه فقال بعد أن حمد الله وأثنى على نبيه « إني وجدت النفس تستروح إلى مطالعة أخبار من تقدم ومراجعة آثار من خرب ربع عمره وتهدم ، ومنازعة أحوال من غبر في الزمان وما ترك للشعراء من متردم » .

ويفهم من هذا أن المؤلف كان مغرما بالتاريخ محبا لقراءته ومراجعته ليطلع على آثار من تقدم .

ثم بين فائدة الاطلاع على التاريخ ومعرفة أخبار السابقين فقال :

والتاريخ للزمان مرآة ، وتراجم العالم للمشاركة في المشاهدة مرقاة ، وأخبار الماضين لمن عاقر الهموم ملهاة .

لولا أحاديث أبقتها أوائلنا　　من الندى والردى لم يعرف السمر

وما أحسن قول الأرجاني :

إذا عرف الإنسان أخبار من مضى　　توهمته قد عاش في أول الدهر

---

(١) انظر ترجمة الصفدي في الطبقات الكبرى ٦/٩٤ السبكي والدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني

وتحسبه قد عاش آخر دهره
إلى الحشر أن أبقى الجميل من الذكر
فقد عاش كل الدهر من كان عالما
كريما حليما فاغتنم أطول العمر

وربما أفاد التاريخ حزما وعزما ، وموعظة وعلما ، وهمة تذهب هما ، وبيانا يزيل وهنا ووهما ، وحيلا تثار للأعادى من مكامن المكايد وسبلا لاتعرج بالأمانى إلى أن تقع من المصايب ، وصبرا يبعثه التأسى بمن مضى ، واحتسابا يوجب الرضا بما مر وحلا من القضا « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » فكم تشبث من وقف على التواريخ بأذيال معال تنوعت أجناسها ، وتشبه بمن أخلده إلى الأرض وأصعده منعه السهى لأنه أخذ التجارب مجانا ممن أنفق فيها عمره ، وتجلت له العبر فى مرآة عقله فلم تطفح لها من قلبه جمرة ، ولم تسفح لها فى خده عبرة .

« لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب » .

لحب الكاتب للتاريخ ومعرفته لفوائده كان وراء تأليف هذا الكتاب حيث يقول :

فأحببت أن أجمع من تراجم الأعيان من هذه الأمة الوسط ، وكلة هذه الملة التى مد الله لها تعالى الفضل الأوفى وبسط ، ونجباء الزمان وأمجاده ورؤوس كل فضل وأعضاده ، وأساطين كل علم وأوتاده ، وأبطال كل ملحمة وشجعان كل حرب وفرسان كل معرك ، لايسلمون من الطعن ،

ولايخرجون عن الضرب ممن وقع عليه اختيار تتبعى واختيارى ، ولزنى إليه اضطرام تطلبى واضطرارى ، مايكون متسما فى هذا التأليف درة ، منتشقا من روض هذا التصنيف زهرة ، فلا أغادر أحدا من الخلفاء الراشدين ، وأعيان الصحابة والتابعين والملوك والأمراء ، والقضاة ـ والعمال والوزراء ، والقراء والمحدثين ، والفقهاء والمشايخ والصلحاء ، وأرباب العرفان والأولياء ،والنحاة والأدباء والكتاب والشعراء والأطباء والحكماء والألباء والعقلاء ، وأصحاب النحل والبدع والآراء ، وأعيان كل فن اشتهر ممن أتقنه من الفضلاء من كل نجيب مجيد ولبيب مفيد :

طواه الردى طى الرداء وغيبت فواضله عن قومه وفضايله

فقد دعوت الجفلى إلى هذا التأليف ، وفتحت أبوابها لمن دخلها بلا تسويغ تسويف ، ولاتكليم تكليف .

ولم أخل بذكر وفاة أحد منهم إلا فيما ندر وشذ ، وانخرط فى سلك أقرانه وهو فذ ، لأنى لم أتحقق وفاته ، وكم من حاول أمرا فما بلغه وفاته ، على أنه قد يجىء فى خلال ذلك من لايضطر إلى ذكره ، ويبدو هجر شوكه بين وصال زهره. قال الخليل بن أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ لايصل أحد من النحو إلى مايحتاج إليه إلا بعد معرفة مالايحتاج إليه قلت :فقد صار مالا يحتاج إليه محتاجا إليه لأن المتوقف وجوده على وجود شىء آخر متوقف على وجود ذلك الشىء .

وهكذا كل علم لايبلغ الإنسان إتقانه إلا بعد تحصيل مالم يفتقر إليه ،

فقد أذكر فى كتابى هذا من لاله مزية وجملت اصبع القلم من ذكره رزه رزية غير أن له مجرد رواية عن المعارف متفردة ، ولم تكن له دراية حمائمها على غصون النقل مفردة :

والأيك مشتبهات فى منابتها ... وإنما يقع التفضيل فى الثمر

ولكن أردت النفع به للمحدث والأديب ، والرغبة فيه للبيب الأريب وجملت ترتيبه على الحروف وتبويبه وتذهيب وضعه وتهذيبه .

على أنى ابتدأت بذكر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إذ هو الذى أتى بهذا الدين القيم ، وسراجه الوهاج وصاحب التنبيه على هذه الشرعة والمنهاج فأذكر ترجمته مختصرا .

وأسرد أمره مقتصرا لأن الناس قد صنفوا المغازى والسير وأطالوا الخبر فيها كما أطالوا الخبر[1] .

ولقد تحدث المؤلف فى هذا الجزء من المقدمة عن مادة كتابه ومنهجه وطريقة ترتيبه ، وبقية المقدمة تضم أحد عشر فصلا فى الثقافة التاريخية والتأليف التاريخى ، وهى مقدمة طويلة تشتمل على دراسة منهجية واسعة .

أما الكتاب نفسه فهو موسوعة ضخمة اشتمل على ثلاثين مجلدا ترجم

---

(١) انظر مقدمة المؤلف ص ٧

فيه المؤلف للخلفاء الراشدين ، والصحابة والتابعين ، والملوك والأمراء والقضاة والعمال والوزراء والقراء والمحدثين والفقهاء والمشايخ والصلحاء وأرباب العرفان والأولياء والنحاة والأدباء والكتاب والشعراء . وعدد كبير من الفضلاء كما ذكر ذلك فى مقدمته .

وقد التزم بالترتيب الأبجدى فى ترجمته لهؤلاء الأعلام غير أنه استثنى المحمدين منهم فجعل مكانهم فى الكتاب يسبق جميع الأسماء تبركاً باسم النبى صلى الله عليه وسلم فيذكر من سموا محمدا فى الجاهلية وأول من سموا محمدا من أبناء المهاجرين وأبناء الأنصار ثم يبدأ فى ترجمة طويلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبعد أن ينتهى المؤلف من الترجمة للمحمدين من الأعلام يبدأ بالترتيب الأبجدى فى تراجمه للأعلام فيترجم لمن بدأت أسماؤهم بالألف ويكون آدم هو الاسم التالى بعد محمد فى التراجم ثم إبراهيم ثم أحمد وهكذا حتى حرف اليـاء .

وقد استفاد المؤلف من كتب السابقين فى هذا الفن كمعجم الأدباء لياقوت ووفيات الأعيان لابن خلكان وغيرهما فحرص على أن يكون كتابه منافسا لكتب هؤلاء فاهتم بضبط الأعلام والبلدان كما اهتم بذكر اللقب والكنية ولم يغفل تاريخ الوفاة لمن يترجم لهم وإذا لم يعرف تاريخ الوفاة فإنه كان يجتهد فى أن يعطى القارىء قرينـة

يستطيع أن يتعرف من خلالها على الفترة الزمنية التي عاش فيها المترجم له على وجه التقريب .

ومهما يكن من أمر : فإن كتاب « الوافي بالوفيات » كتاب جليل القدر ، عظيم الشأن ، رفيع المنزلة نلمس فيه دقة الباحث وأمانة العالم وذوق الأديب وروح المؤلف والكتاب لا يستغنى عنه أي متخصص في الأدب أو النقد أو التاريخ أو الحضارة كما أنه مفيد لكل من ينشد المعرفة الإنسانية في أي فرع من فروعها .

نموذج من الكتاب

« فى كيفية كتابة التاريخ »

تقول للعشرة وما دونها خلون لأن المميز جمع ، والجمع مؤنث وقالوا لما فوق العشرة خلت ومضت لأنهم يريدون أن مميزه واحد ، وتقول من بعد العشرين لتسع إن بقين وثمان إن بقين تأتى بلفظ الشك لاحتمال أن يكون الشهر ناقصا أو كاملا .

وقد منع أبو على الفارسى - رحمه الله تعالى - أن يكتب لليلة خلت ، كما منع من صبيحتها أن يقال : المستهل لأن الاستهلال قد مضى ، ونص على أن يؤرخ بأول الشهر فى اليوم أو بليلة خلت منه .

وقال الحريرى فى « درة الغواص » والعرب تختار أن تجعل النون للقليل والتاء للكثير فيقولون لأربع خلون .

ولأربع عشرة ليلة خلت قال : ولهم اختيار آخر وهو أن تجعل ضمير الجمع للكثير الهاء والألف وضمير الجمع القليل الهاء والنون المشددة كما نطق القرآن : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهر فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم » فجعل ضمير الأشهر الحرم بالهاء والنون لقلتهن وضمير شهور السنة الهاء والألف لكثرتها ، وكذلك اختاروا أيضا أن ألحقوا

لصفة الجمع الكثير الهاء فقالوا : أعطيته دراهم كثيرة ، وأقمت أياما معدودة .

وألحقوا لصفة الجمع القليل الألف والتاء فقالوا : أقمت أياما معدودات وكسوته أثوابا رفيعات .

وعلى هذا جاء فى سورة البقرة «وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة» وفى سورة آل عمران « إلا أياما معدودات » كأنهم قالوا أولا : بطول المدة ثم إنهم رجعوا عنه فقصروا المدة انتهى[1]

---

(١) انظر الفصل الثالث من المقدمة ص٢٠ للمؤلف

الفصل الخامس

أولا : « البيان والتبيين » للجاحظ

التعريف بالكاتب :

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محجوب الكنانى المعروف بالجاحظ لجحوظ عينيه ، وكان يقال له الحدقى أيضا لكبر فى حدقتيه .

ويعد الجاحظ سيد كتاب العربية بلا منازع ، وشيخ أدبائها غير مدافع وإمام أهل الفصاحة والبيان ، وأستاذ أهل الكتابة والكلام .

وكان رحمه الله من مفاخر زمانه ومن عظماء كتاب العربية على مر العصور .

ولد بالبصرة وهى يومئذ قلعة من قلاع الفكر ، ومركز من مراكز الإشعاع العلمى والأدبى فى العالم الإسلامى كله .

وكانت ولادته سنة ١٦٠ هـ وقد عرف منذ الصغر بالذكاء الحاد والرغبة الجامحة فى القراءة والاطلاع لحفظ القرآن الكريم وهو صبى ثم أقبل على مجالس العلماء يغترف من بحارهم ، ويرتشف من رحيقهم حتى صار علما من أعلام اللغة ، وأستاذا من أساتذة الأدب ، وشيخا من شيوخ العربية ودائرة معارف متنقلة .

وبلغ به العشق للأدب وهو صغير أنه كان يكترى حوانيت الوراقين ويبيت فيها للمطالعة فأكسبه ذلك معرفة واسعة وثقافة متنوعة .

ثم قصد بغداد واتصل فيها بكبار رجال الدولة كابن الزيات وابن وهب وأضرابهما من الفحول . . كما قدر له أن يلتقى فى بغداد بالقمم والشوامخ فى كل فن من فنون المعرفة فعاصر من رجال الفقه والحديث مالكا والشافعى وأحمد ابن حنبل والبخارى .

ومن الكتاب : ابن المقفع وإبراهيم الصولى ، وابن قتيبة والمبرد .

ومن علماء اللغة الخليل بن أحمد ، ومن الشعراء : بشار بن برد وأبا نواس ، ومسلم بن الوليد وأبا العتاهية وأبا تمام والبحترى وابن الرومى

ودرس على الأصمعى وأبى عبيدة وأبى زيد الأنصارى والأخفش .

والتقى بالنظام وأعجب به واتخذ من الاعتزال مذهبا له وأصبح أحد ثلاثة من رجال المعتزلة فى عصره .

يقول ياقوت فى « إرشاد الأديب »

اتفق أهل صناعة الكلام على أن متكلمى العالم ثلاثة :

الجاحظ ، وعلى بن عبدالله اللطفى ، وأبو زيد البلخى

وعلى الرغم من علمه الغزير ، وثقافته الواسعة فقد كان دميم الخلقة ، جاحظ العينين ، بشع المنظر حتى أن الخليفة المتوكل عندما سمع بمنزلته فى العلم ومكانته فى المعرفة استقدمه ليؤدب ولده ، فلما رآه استبشع منظره ، وصرفه بعشرة آلاف درهم .

وهذه النقائص الخلقية كانت كفيلة بأن تحطم نفسية صاحبها وأن تصيبه بالشعور بالنقص والعقد والإحباط .

ولكن الجاحظ كان على العكس من ذلك يتمتع بدماثة في الطبع ، ولين في الجانب وخفة في الروح مما جعله محبوبا لدى الخاصة والعامة .

وإلى جانب ذلك كان حلو الحديث ، حسن المحاضرة سريع النكتة ، حاضر الجواب ، ميالا بطبعه إلى التفاؤل وحب الناس لا يرى من الحياة إلا وجهها المشرق لا يبالي أن يسجل الفكاهة ولو كانت على نفسه .

يقول : ما أخجلني إلا امرأتان : رأيت إحداهما في المعسكر وهو مصيف الخلفاء ، وكانت طويلة القامة ، وكنت على طعام فأردت أن أمازحها فقلت لها : إنزلي كلي معنا .

فقالت : بل اصعد أنت حتى ترى الدنيا .

وأما الأخرى فجاءتني وأنا على باب داري فقالت :

لي إليك حاجة ، وأريدك أن تمشي معي لتقضيها ، فمشيت معها حتى أتت بي إلى صائغ يهودي فأشارت إلي وقالت : مثل هذا ، وانصرفت فسألت الصائغ عن قولها فقال : إنها أتت إلى بفص وأمرتني أن أنقش عليه صورة شيطان، فقلت لها يا سيدتي ما رأيت الشيطان فجاءت بك .

وقد انعكست روح الجاحظ المرحة وحبه للدعابة والسخرية على أسلوبه في الكتابة فكان يخلط الجد بالهزل ويميل إلى التهكم والسخرية ترويحا عن القارىء وترغيبا له في الإقبال على المطالعة .

انظر إليه كيف يصور بعض الكتاب فى ديوان الرسائل . يقول : دخلت ديوان الرسائل ببغداد فرأيت قوما قد صقلوا ثيابهم ، وصفوا عمائمهم ، ووشوا طرزهم ثم اختبرتهم فوجدتهم كما قال الله تعالى «فأما الزبد فيذهب جفاء» . . ظواهر نظيفة وبواطن سخيفة فويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون» .

إن الأسلوب الساخر الذى عرف به الجاحظ يدل على قدرة فائقة فى التصوير ، وبراعة عظيمة فى الرسم من خلال الكلمات ودقة فى التعبير مع التهكم المر ، والغمزات الدامية .

وعندما شرع فى التأليف والتصنيف وهو فى بداية عهده ببغداد كان ينسب كتبه فى البداية إلى أحد المشاهير من كتاب عصره كابن المقفع وسهل بن هارون حتى ينفق سوقها .

روى المسعودى أن الجاحظ كان يقول : كنت أؤلف الكتاب الكثير المعانى الحسن النفع وأنسبه إلى نفسى فلا أرى الأسماع تصغى إليه ، ولا الإرادات تتيمم نحوه ثم أؤلف ما هو أنقص منه رتبة ، وأقل فائدة ، وأنحله عبدالله بن المقفع أو سهل بن هارون أو غيرهما من المتقدمين فيقبلون على كتبها ويسارعون إلى نسخها لا لشىء إلا لنسبتها للمتقدمين — ولما يداخل أهل العصر من حسد لمن هو فى عصرهم ومنافسته على المناقب التى عنى بتشييدها .

ولما إن أهل لقرن الثالث الهجرى حتى طارت شهرة الجاحظ فى الآفاق

وترامت تلك الشهرة إلى الخليفة العباسى المأمون فاستقدمه واستدعاه وقربه وأدناه ، وأسند إليه رئاسة ديوان الرسائل وهو منصب خطير لا يحظى به إلا من ضرب بسهم وافر فى ميدان الفنون والآداب والعلوم .

ولكن الجاحظ كان يميل بطبعه إلى الحرية ويكره الوظيفة وأعباءها وبخاصة أنه أدرك بذكائه جسامة المتاعب التى سيواجهها من زملائه الكتاب إن هو ظل رئيسا لذلك الديوان لمدة طويلة ، فترك ذلك المنصب المرموق غير آسف عليه بعد ثلاثة أيام فقط من توليه .

ويبدو أن حب الجاحظ للمرح وميله للفكاهة والمزاح جعله يكره البقاء فى منصب حكومى خطير يتطلب التزمت والوقار .

وفى بغداد توثقت صلته بمحمد بن عبد الملك الزيات الذى كان وزيرا للمعتصم ثم للواثق من بعده وكان من كبار رجال الأدب والسياسة فى عصره وأهداه الجاحظ كتاب « الحيوان » .

ولما مات الواثق وتولى المتوكل من بعده خلافة المسلمين كانت فى نفس المتوكل حاجة من الوزير ابن الزيات فاستمع فيه إلى وشاية منافسه أحمد بن أبى دؤاد القاضى فعزل ابن الزيات وفتك به فتكا ذريعا .

ولم يجد الجاحظ بداً من الفرار حتى لا يلقى نفس المصير الذى واجهه ابن الزيات .. ولكنه قبض عليه وسيق مقيدا بالأغلال فى حالة بالية لابن أبى دؤاد فلما وقع نظره عليه قال له : والله ما علمتك إلا متناسيا للنعمة كفورا للصنيعة ، معددا للمساوى ..

فقال الجاحظ : خفض عليك - أيدك الله - فوالله لأن يكون الأمر على ، خير من أن يكون لى عليك ، ولأن أسىء وتحسن أحسن لك من أن أحسن فتسىء ، وأن تعفو عنى حال قدرتك أجمل من الانتقام منى .

فقال له ابن أبي دؤاد : قبحك الله ما علمتك إلا كثير تزويق الكلام ، وقد جعلت ثيابك أمام قلبك ثم اصطفيت فيه النفاق والكفر، ما تأويل هذه الآية :

« وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد»؟

قال : تلاوتها تأويلها أعز الله القاضى .

فقال القاضى : جيئوا بحداد .

فقال الجاحظ : أعز الله القاضى ليفك عنى أو ليزيدنى ؟

قال : بل ليفك عنك .

فجىء بحداد فغمزه بعض أهل المجلس أن يعنف بساق الجاحظ ، ويطيل أمره قليلا ، فلطمه الجاحظ وقال : أعمل عمل شهر فى يوم ، وعمل يوم فى ساعة وعمل ساعة فى لحظة فإن الضرر على ساقى وليس بجزع ولاساجة .

ثم أمر القاضى غلامه أن يميط عنه الأذى وأن يذهب به إلى الحمام ليغتسل ، ويلبس ملابس جديدة ثم أجلسه إلى جواره وقال : هات الآن حديثك يا أبا عثمان .

أما مكانة الجاحظ بين العلماء فهى على درجة كبيرة من السمو والرفعة يقول ثابت بن قرة .

ما أحسد هذه الأمة إلا على ثلاثة أنفس

فقيل له أحص لنا هؤلاء الثلاثة قال:

أولهم: عمر بن الخطاب فى سياسته ويقظته وحذره وحفظه ودينه وجزالته وشهامته وقيامه فى صغير أمره وكبيره بنفسه على قريحة صافية، وعقل وافر، ولسان عضب، وقلب شديد.

والثانى: الحسن البصرى فلقد كان من درارى النجوم علما وتقوى وزهدا وورعا وعفة ورقة وتألها وتنزها وفقها ومعرفة وفصاحة، ونصاحة مواعظه تصل إلى القلوب وألفاظه تلتبس بالعقول.

والثالث: أبو عثمان الجاحظ خطيب المسلمين، وشيخ المتكلمين ومدرة المتقدمين والمتأخرين، إن تكلم حكى سحبان فى البلاغة وإن ناظر ضارع النظام فى الجدال، وإن جد خرج فى مسك عامر بن قيس، وإن هزل زاد على مزيده.

حبيب القلوب ومزاج الأرواح، وشيخ الأدب، ولسان العرب.

كتبه رياض زاهرة، ورسائله أفنان مثمرة، ما نازعه منازع إلا رشاه آنفا، ولا تعرض له منقوص إلا قدم له التواضع استبقاء. الخلفاء تعرفه، والأمراء تصافيه وتنادمه، والعلماء تأخذ عنه، والخاصة تسلم له والعامة تحبه، جمع بين اللسان والقلم، وبين الفطنة والعلم، وبين الرأى والأدب، وبين النثر والنظم، وبين الذكاء والفهم»[1]

( ) معجم الأدباء ١٦ : ٩٥ ياقوت

وندع المبرد صاحب كتاب (الكامل) يصف لنا الأيام الأخيرة من حياة الجاحظ فيقول : دخلت على الجاحظ فى آخر أيامه ، فقلت له : كيف أنت ؟ فقال : كيف يكون من نصفه مفلوج لو حز بالمناشير ما شعر به ، ونصفه الآخر منقرس لو طار الذباب بقربه لآلمه . وأشد من ذلك ست وتسعون سنة أنا فيها .

وعلى الرغم من هذه السنين الطويلة ومن تلكم الأمراض التى تكاثرت على الجاحظ فإنه لم يمت بسببها وإنما مات شهيدا تحت مكتبته إذ كان من عادته أن يضعها كالحائط محيطة به وهو جالس يقرأ فيها فانهالت عليه فجأة وقتلته بعد أن كانت شاغل حياته وسلوة فكره وكان ذلك سنة ٢٥٥ هـ — رحمه الله —

وقد أحاط الجاحظ بكل ماعرف على أيامه من علوم ومعارف ولم يترك علما إلا وضع فيه مؤلفا فبحث فى طبائع الأشياء والحيوان والنبات والمعادن ، وأقام علمه على أساس من المشاهدة والملاحظة والتجربة .

أما عدد مؤلفاته فقد روى سبط الجوزى فى كتابه (مرآة الزمان) أنها ثلاثمائة وستون كتابا ، وبذلك يكون الجاحظ أكثر المؤلفين إنتاجا ، وأغزرهم مادة وأوفرهم نشاطا . وقد اعترف له بذلك محبوه وشانئوه على حد سواء .

يقول أبو القاسم السيرافى : حضرنا مجلس الأستاذ أبى الفضل بن العميد الوزير فجرى ذكر الجاحظ فغض منه بعض الحاضرين وأزرى به

وسكت الوزير عنه . فلما خرج الرجل قلت للوزير : سكت أيها الأستاذ عن هذا الرجل فى قوله مع عادتك على الرد على أمثاله فقال : لم أجد فى مقابلته أبلغ فى الرد من تركه على جهله ولو وافقته وبينت له لنظر فى كتبه وصار بذلك إنسانا يا أبا القاسم . فكتب الجاحظ تعلم العقل أولا والأدب ثانيا ولم أستصلحه لذلك[1] .

ومعنى هذا أن الجاحظ لم يكن مجرد مصنف يهتم بالكم على حساب الكيف ولكنه كان فى كتبه يخاطب العقل ويعزف على أوتار العاطفة والوجدان .

وهذا هو المسعودى صاحب (مروج الذهب) كان على بغضه للجاحظ لا يستطيع إلا أن يعترف له بالفضل .

حيث يقول عن مؤلفاته وكتب الجاحظ - مع انحرافه المشهور - تجلو صدأ الأذهان ، وتكشف واضح البرهان ، لأنه نظمها أحسن نظم ، ورصفها أحسن رصف وكساها من كلامه أجزل لفظ . وكان إذا تخوف ملل القارىء ، وسآمة السامع خرج من جد إلى هزل ، ومن حكمة بليغة إلى نادرة طريفة .

وله كتب حسان منها البيان والتبيين وهو أشرفها لأنه جمع فيه

---

(١) وفيات الأعيان ١٤٢/٣

بين المنثور والمنظوم ، وغرر الأشعار ومستحسن الأخبار ، وبليغ الخطب بما لو اقتصر عليه مقتصر لاكتفى به وكتاب الحيوان ، وكتاب الطفيليين والبخلاء(١) .

ومعظم مؤلفات الجاحظ قد ضاعت كما ضاع غيرها من كتب التراث ومابقي منها يشهد للرجل بالتفوق والسبق .

(١) مروج الذهب ٤/٤٧ المسعودى

ثانيا : البيان والتبيين

هذا الكتاب من أهم كتب الجاحظ ومن أكثرها فائدة ومن أعظمها شهرة وصيتا .

وقد تضمن مختارات من النصوص الأدبية القيمة من آية قرآنية ، أو حديث نبوى ، أو حكمة شاردة ، أو مثل سائر ، أو خطبة بليغة . وقد أهداه إلى القاضى أحمد بن أبى دؤاد فأعطاه خمسة آلاف دينار مكافأة له .

وقد دأب الجاحظ فى هذا الكتاب — كما هو الحال فى معظم كتبه — أن يرسل نفسه على سجيتها ، لا يتقيد بنظام يترسله ولا بمنهج يلتزمه وقد يبدأ الكلام عن قضية معينة ثم يتركها إلى غيرها ثم يعود إليها بعد ذلك حتى ليصعب على الباحث أن يهتدى بسهولة إلى الفكرة التى يطلبها من بين سطور هذا الكتاب .

وكان الجاحظ يعرف هذا ويشعر به ، ويعتذر عنه أحيانا . وقد أدي هذا إلى تكرار النصوص والحديث عن الموضوع الواحد فى أكثر من مكان وقد يكون التكرار فى الباب الواحد .

وقد علل الجاحظ ذلك بأن الاستطراد يدفع السأم عن القارىء ويحبب إليه المضى فى القراءة ، والمزيد من الاطلاع .

وقد يكون الجاحظ محقا فى ذلك فإن القارىء فى كتبه يشعر كأنه يسهد

فى حديقة غناء وارفة الظلال ، كثيرة الثمار متنوعة الفاكهة فيقطف منها ما يشاء من غير سأم ولا ملل .

وربما يكون السبب الحقيقى فى كثرة الاستطراد يعود إلى سعة علم الجاحظ ، وغزارة مادته وتنوع ثقافته فما يكاد يبدأ فى موضوع حتى تتدفق معلوماته ، وتتزاحم أفكاره ، فيضطر إلى الخروج عن الموضوع ليفيد القارىء بما يعلم .

وقد يكون علة ذلك أن الكتاب لم يؤلف مرة واحدة وإنما ألف على مرتين وقد زعم ياقوت أن النسخة الثانية من الكتاب أصح وأجود من الأولى .

وقد أثنى القدماء على هذا الكتاب ثناء عطرا وأشادوا بفضله وبالغوا فى تقريظه ومدحه .

يقول أبو هلال العسكرى فى « الصناعتين » عن حديثه عن كتب البلاغة وكان أكبرها وأشهرها كتاب البيان والتبيين لأبى عثمان بن بحر الجاحظ وهو لعمرى كثير الفوائد جم المنافع لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة ، والفقر اللطيفة ، والخطب الرائعة ، والأخبار البارعة ، وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء ، وما نبه عليه من مقاديرهم فى البلاغة والخطابة وغير ذلك من فنونه المختارة ونعوته المستحسنة إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة فى تضاعيفه ، ومنتثرة فى أثنائه ، فهى ضالة بين الأمثلة لا توجد إلا بالتأمل الطويل والتصفح الكثير .

أما ابن خلدون فيسجل لنا رأى القدماء فى هذا الكتاب حيث يقول عند الكلام على علم الأدب .

وسمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهى :

« أدب الكاتب » لابن قتيبة ، وكتاب « الكامل » للمبرد وكتاب « البيان والتبيين » للجاحظ وكتاب « النوادر » لأبى على القالى وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها (١)

بدأ الجاحظ كتابه مستعيذا بالله من التكلف لما لا يحسن ، ومن العجب بما يحسن ومن السلاطة والهذر ، ومن العى والحصر :

وكانت هذه الاستعاذة مقدمة الكتاب كما كانت موضوعه حيث لم يلتزم الجاحظ فى كتابه بمنهج معين ولا بخطة مرسومة وإنما ترك نفسه على سجيتها ويمكن أن نرجع مادة الكتاب إلى الموضوعات الآتية :

١ ـ البلاغة والبيان : حيث تحدث الجاحظ عن ماهية البلاغة وعلى نعمة الفصاحة ثم على عيوب اللسان والعى واللحن واللكنة والفأفأة والتشديق والتقعير والنحنحة .

ويلحق بالبلاغة كذلك ما يرجع إلى موسيقى الكلام من حروف وألفاظ متنافرة .

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٠٨

والبلاغة عنده تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام ، وحسن الاقتضاب عند البداهة ، والغزارة يوم الإطالة ، وهى وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة ، وكل من أفهمك حاجة من غير إعادة فهو بليغ .

فإن أردت اللسان الذى يروق الألسنة ويفوق كل خطيب فإظهار ما غمض من الحق .

والبيان قد يكون حكما فى مناظرة أو فصلا بين خصوم أو وعظا لقوم وأورد لذلك نصوصا كثيرة .

٢ ـ الخطابة : تكلم الجاحظ عن صفات الخطيب الناجح وذكر مكانة الخطيب بين قومه حين قدموه فى كثير من الأحيان على الشاعر .. وأورد لنا عددا من الخطب لمشاهير الخطباء كقس بن ساعدة الأيادى وأكثم بن صيفى وعامر بن الظرب والحجاج بن يوسف وأبو حمزة الشارى وغيرهم .

٣ ـ لم يخص الجاحظ الشعر كفن مستقل إلا بصفحات قليلة ولكنه تكلم عن مكانة الشاعر بين قومه فى الجاهلية حيث أورد قول أبى عمرو ابن العلاء « إن الشاعر كان مقدما فى الجاهلية على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذى يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم ويهول على عدوهم .

فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا إلى السوقة وتسرعوا إلى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر .

وقد أكثر الجاحظ من المقطوعات الشعرية الرائعة منذ الجاهلية إلى

عصره وهى أشعار تدل على ذوقه الرفيع وحسن فهمه للشعر الجيد .

٤ ـ ولم يغفل الجاحظ الفكاهة والسخرية فى كتابه حيث تحدث عن الحمقى والنوكى والمغفلين والموسوسين كما تحدث عن المعلمين وحمل عليهم حملة قاسية بل إنه أضافهم فى كتابه إلى جملة الحمقى ونسب إلى بعض الحكماء قوله : لا تستشيروا معلما ولا راعى غنم ولا كثير القعود مع النساء .

ويبدو أن معلم الصبيان فى الكتّاب هو الذى يقصده الجاحظ حيث ذكر أن من أمثال العامة « أحمق من معلم كتاب » بدليل أنه استبعد الحماقة فى موضع آخر عن عظماء المعلمين الذين علموا أولاد الملوك أمثال : على بن حمزة الكسائى ومحمد بن المستير الذى يقال له قطرب .

٥ ـ وفى الكتاب مادة موفورة لدراسة عادات وتقاليد المجتمع العباسى فى بغداد والبصرة على أيام الجاحظ لأنه يغترف مما حوله ويلتزم الدقة فى إيراده حتى الألفاظ العامية يوردها كما هى وشكا من أن الرسم العربى غير كاف لتصوير كل الأصوات التى يريد كتابتها فهو مصدر مهم لعالم اللغة .

وقد نال الكتاب شهرة واسعة وصيتا بعيدا منذ عهد الجاحظ وحتى يومنا هذا فأثنى عليه المتقدمون كما اهتم به المعاصرون .

وقد طبع كتاب » البيان والتبيين » عدة طبعات فى مصر والبلاد العربية .

وقام بتحقيقه الأستاذ عبد السلام هارون وعنى بضبط الألفاظ الغريبة والكلمات الفارسية والمصرية ونحوها كما عنى بتحقيق الأعلام وترجمتها .
وحقق النصوص وخرجها ونسب الشعر إلى قائله وأبقى تقسيم الكتاب كما صنعه الجاحظ وقد ألحق بالكتاب فهارس تفصيلية للخطب والرسائل والوصايا والأشعار والأرجاز والأمثال واللغة والأعلام والبلدان والمواضع والمياه وأيام العرب والحضارة والكتب .

نموذج من الكتاب

خطبة أبى حمزة الخارجى

دخل أبو حمزة الخارجى مكة — وهو أحد نساك الأباضية وخطبائهم واسمه يحيى بن المختار — فصعد منبرها متوكئاً على قوس عربية ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يتأخر ولا يتقدم إلا بإذن الله وأمره ووحيه ، أنزل الله كتاباً بين له فيه ما يأتى وما يتقى ولم يك فى شك من دينه ، ولا شبهة من أمره ، ثم قبضه الله وقد علم المسلمين معالم دينهم ، وولى أبا بكر صلاتهم ، فولاه المسلمون أمر دنياهم حين ولاه رسول الله أمر دينهم ، فقاتل أهل الردة ، وعمل بالكتاب والسنة ، فمضى لسبيله رحمة الله عليه .

ثم أقبل على أهل الحجاز فقال :

يا أهل الحجاز ، أتعيروننى بأصحابى وتزعمون أنهم شباب ؟ وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شباباً ، أما والله إنى لعالم بتتابعكم فيما يضركم فى معادكم ، ولولا اشتغالى بغيركم عنكم ما تركت الأخذ فوق أيديكم .

« شباب والله مكتهلون فى شبابهم ، غضيضة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أرجلهم ، أنضاء عبادة وأطلاح سهر ، ينظر الله إليهم فى جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مر أحدهم بآية من

ذكر الجنة بكى شوقاً إليها وإذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه . موصول كلالهم بكلالهم : كلال الليل بكلال النهار . وقد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم ، وأنوفهم وجباههم واستقلوا ذلك فى جنب الله ، حتى إذا رأوا السهام قد فوقت والرماح قد أشرعت والسيوف قد انتضيت ورعدت الكتيبة بصواعق الموت وبرقت استخفوا بوعيد الكتيبة لوعد الله ومضى الشاب منهم قدما حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه وتخضبت بالدماء محاسن وجهه فأسرعت إليه سباع الأرض وانحطت عليه طير السماء فكم عين فى منقار طائر طالما بكى صاحبها فى جوف الليل من خوف الله . وكم من كف زالت عن معصمها طالما اعتمد عليها صاحبها فى جوف الليل بالسجود لله . آه . آه ثم بكى ونزل .

ثانيا : « كتاب الأغانى » لأبى الفرج الأصفهانى

١ — التعريف بالمؤلف :

ينسب هذا الكتاب إلى أبى الفرج على بن الحسين بن محمد بن أحمد ابن الهيثم . ينتهى نسبه إلى مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية فهو عربى قرشى من بنى أمية ولد بأصفهان من بلاد فارس سنة ٢٨٤هـ ونسب إليها فقيل أبو الفرج الأصفهانى ـ ثم انتقل إلى بغداد صبيا فاستوطنها وصار من أهلها .

وكانت داره ببغداد واقعة على نهر دجلة فى المكان المتوسط بين درب سليمان ودرب دجلة وملاصقة لدار أبى الفتح البريدى .

نشأ أبو الفرج فى بيت من بيوت العلم وشب فى أسرة يتذوق أصحابها الأدب ويحبون الشعر ويحفظونه ويروونه .

وكما نشأ فى بيت يعنى أهله بالأدب فقد نشأ فى بيت يعنى أهله بالغناء فقد ذكر فى « الأغانى » أن والده كان يحب الغناء كما أن عمته كان لها أيضا ذوق فى الغناء والشعر ، وكان لهذه التربية أثر كبير فى انصراف أبى الفرج إلى الأدب وعنايته بالغناء ، ولعل كتاب الأغانى خير شاهد على ماتقول .

فقد ورد فيه : أن أبا الفرج كانت له رسالة فى علل النغم وكانت تجرى بينه وبين أئمة المغنين مناظرات ومجادلات ومراسلات كما كانت له آراء جيدة فى هذا الفن مبثوثة فى ثنايا الكتاب .

وقد تلقى العلم على أساتذة أفذاذ كل واحد منهم كان إماما فى تخصصه أمثال : ابن دريد وابن الأنبارى والأخفش ونفطويه والطبرى وغيرهم من رجال الشعر والأدب واللغة والنحو والتاريخ والسير والأنساب فاستوعب من علمهم الشىء الكثير ، وكان له إلى جانب ذلك إلمام بالطب والنجوم والموسيقى ، فأتاحت له ثقافته الواسعة مكانة عالية ، وفتحت أمامه الأبواب المغلقة فكان ينتقل كيف يشاء بين كبريات المدن ، ومراكز الحضارة وعواصم الدولة فى بغداد وحلب وفارس ، ولقى حظوة عند كبار رجال عصره ، وكان أكثرهم إيثارا له وحدبا عليه الوزير أبو محمد المهلبى وزير معز الدولة ابن بويه فانقطع إليه ومدحه ، وأصبح من ندمائه المقربين إلى أن توفى فى خلافة المطيع بالله سنة ٣٥٦هـ بعد أن خولط فى عقله وأصابه الفالج .

وعلى الرغم من عزارة علمه ، وتنوع ثقافته وتعدد مواهبه فقد حكى ياقوت : أنه كان وسخا قذرا لم يغسل له ثوب منذ فصله إلى أن قطعه وكان الناس على ذلك يحذرون لسانه ، ويتقون هجاءه ويصبرون فى مجالسته ومعاشرته ، ومواكلته ومشاربته على كل صعب من أمره لأنه كان وسخا فى نفسه ثم فى ثوبه وفعله حتى إنه لم يكن ينزع دراعة إلا بعد إبلائها وتقطيعها ولا يعرف لشىء من ثيابه غسلا[1]

---

(١) معجم الأدباء ١٥٣/٥ ياقوت

وكما كان أبو الفرج لايتحرى النظافة فى ملبسه وهيئته كان كذلك فى مسكنه حيث كانت داره قذرة عامرة بالحشرات والفئران والقطط ، ولا أدل على ذلك من تلك المقطوعة الشعرية الرائعة التى يصف فيها الفئران وهى تمرح فى بيته وتعيث فيه فسادا حيث يقول :

يا لحدب الظهور قصع الرقاب	لدقاق الأنيــاب والأذناب
خلقت للفساد مذ خلق الخلـ	ـق وللعيث والأذى والخراب
ناقبات فى الأرض والسقف والحـ	ـيطان نقبا أعيا على النقاب
آكلات كل المآكل لا تأ	منها شاربات كل الشراب
آلفات قرض الثياب وقد يعـ	ـدل قرض القلوب قرض الثياب[1]

ومع هذا فقد كان محل احترام الخلفاء ، والملوك والأمراء والوزراء ، لأنه كان آية فى لطف المنادمة والمعاشرة ولما وعى من الأدب النادر والعلم الغزير فكانوا يحتملون منه مالا يحتملون من غيره .

حدث إبراهيم بن هلال الصابى : أن أبا الفرج كان جالسا فى بعض الأيام على مائدة أبى محمد المهلبى فقدمت « سكباجة »[2] وافقت من أبى الفرج سعلة فبدرت من فمه قطعة من بلغم فسقطت وسط الإناء

---

(١) المرجع السابق ٥/١٥٥ ياقوت وانظر عيون التواريخ لابن شاكر الكتبى

(٢) مرق يعمل من اللحم والخل

فتقدم أبو محمد برفعها وقال : هاتوا من هذا اللون في غير هذه الصفحة ولم يظهر في وجهه انكار ولا إستكراه ، ولا داخل أبا الفرج في هذه الحالة استحياء ، ولا انقباض .

ويضيف الراوى : وكان أبو محمد عزوف النفس بعيدا عن الصبر على مثل هذه الأسباب إلا أنه كان يتكلف احتمالها من أبي الفرج .

وعلى الرغم من ذلك فقد كان ظريفا حلو الحديث ميالا إلى النوادر والسخرية فمن دلائل ظرفه مارواه ياقوت في معجمه قال : قال غرس النعمة : حدثني أبي قال : كان أبو القاسم الجهني القاضي — وأظنه من أهل البصرة وتقلد الحسبة بها ومنها عرف أبا محمد المهلبي وصحبه — يشتمل على آداب يتميز بها إلا أنه كان فاحش الكذب يورد من الحكايات مالا يعلق بقبول ، ولا يدخل في معقول .

وكان أبو محمد قد ألف ذلك منه . وكنا لانخلو من حديثه من التعجب والاستظراف والاستبعاد .

وكان ذلك لايزيده إلا إغراقا في قوله ، وتماديا في فعله فلما كان في بعض الأيام ، جرى حديث النعنع وإلى أى حد يطول . فقال الجهني : في البلد الفلاني يتشجر حتى يعمل من خشبه السلالم فاغتاظ أبو الفرج من ذلك وقال : نعم عجائب الدنيا كثيرة ولايدفع مثل هذا وليس بمستبعد وعندى ماهو أعجب من هــذا وأغرب وهو زوج حمام يبيض في نيف وعشرين يوما بيضتين فأنزعهما من تحته وأضع مكانهما صنجة مائة وصنجة

خمسين فإذا انتهى الخوان تفقست الصنجتان عن طست وإبريق أو سطل وكرنيب فعمنا جميعا الضحك وفطن الجمونى لما قصده أبو الفرج وانقبض عن كثير مما كان يحكيه ويتسمح فيه(١)

أما موقفه السياسى فقد كان متشيعا لعلى وبنيه ولكنه كان منصفا فى حديثه عن بنى أمية الذين اغتصبوا الخلافة منهم كما كان منصفا فى حديثه عن بنى العباس الذين قاتلوا العلويين أيضا وحرموهم من الحكم .

ولعل ذلك راجع إلى أنه كان أموى النسب كما كان يخشى العباسيين الذين يعيش تحت سلطانهم .

وقد تبوأ أبو الفرج مكانة عالية ومنزلة سامقة بين أدباء عصره فأثنى عليه الثعالبى فى (اليتيمة) وياقوت فى (معجم الأدباء) وابن خلكان فى (وفيات الأعيان) وابن النديم فى (الفهرست) وكاتب جلبى فى (كشف الظنون) وابن خلدون فى (المقدمة)

كما أثنى عليه المحدثون أمثال : جورجى زيدان فى (تاريخ آداب اللغة العربية) وطه حسين فى (حديث الأربعاء) وزكى مبارك فى (مجلة المجمع العلمى) وغيرهم .

وعلى الرغم من اعتراف هؤلاء الأفذاذ له بعلو المنزلة فى الأدب والأمانة فى النقل والرواية ، فلم يسلم من القادحين فيه والمتحاملين عليه ومن هؤلاء :

---

(١) معجم الأدباء ١٣/١٢٣ ياقوت

الدارقطنى الذى قال عنه : إنه كان يتشيع ومثله لا يوثق به وبروايته فإنه كان يصرح فى كتبه بما يوجب عليه الفسق ، ويهون شرب الخمر وربما حكى ذلك عن نفسه ومن تأمل كتاب الأغانى رأى كل قبيح ومنكر(١) .

ويقول أبو محمد الحسن النوبختى أحد معاصريه : كان أبو الفرج الأصبهانى أكذب الناس وكان يدخل سوق الوراقين وهى عامرة والدكاكين مملوءة بالكتب فيشترى شيئا كثيرا من الصحف ويحملها إلى بيته ثم تكون رواياته كلها منها(٢) .

أما شمس الدين الذهبى فيقول عنه « رأيت شيخنا تقى الدين ابن تيمية يضعفه ويتهمه فى نقله ويستهول ما يأتى به(٣) .

ونحن نرى أن أبا الفرج كان عالما غزير العلم ، كما كان أديبا وشاعرا ولكن سيرته الشخصية لم تسلم من الطعن حيث كان وسخا فى ملبسه ومظهره ، كما كان أكولا نهما .

وفوق ذلك اتهم بأنه كان كثير السكر ، محبا للغلمان .

---

(١) المنتظم لابن الجوزى ٣٤٠/٦

(٢) تاريخ بغداد ٣٩٩/١١ الخطيب البغدادى

(٣) فوات الوفيات ١٨٣/٢ ابن شاكر الكتبى

وكان لذلك أثره في كتاب الأغاني فقد ركز على الجانب العابث في حياة المجتمع العباسي على ما سيأتي بيانه .

وقد خلف لنا أبو الفرج تراثا فكريا ضخما يشهد له بالتقدم والسبق وقد أحصى غير واحد من المصنفين كتبه وسأكتفي بحديث معاصره أبو منصور الثعالبي حيث يقول عنه في (اليتيمة) .

أبو الفرج الأصبهاني علي بن الحسين الأموي الأصبهاني الأصل البغدادي المنشأ وكان من أعيان أدبائها وأفراد مصنفيها وله شعر يجمع بين اتقان العلماء وإحسان ظرفاء الشعراء .

والذي رأيته من كتبه كتاب القيان ، وكتاب الأغاني وكتاب الإماء الشواعر وكتاب الديارات وكتاب دعوة النجار وكتاب مجرد الأغاني وكتاب أخبار جحظة البرمكي ، وما أشك في أن له غيرها[١] .

وفوق ذلك فقد كان شاعرا جيد الشعر ومعظم شعره في الهجاء والغزل والوصف والمديح والرثاء غير أنه برع في الهجاء وتفوق فيه يقول هلال بن المحسن عنه :

وله شعر جيد إلا أنه في الهجاء أجود وإن كان في غيره غير متأخر وكان الناس على ذلك العهد يحذرون لسانه ويتقون هجاءه[٢]

---

(١) يتيمة الدهر ٢/٢٧٨ أبو منصور الثعالبي
(٢) معجم الأدباء ٣ : ٩٦ ياقوت ط الصاوي بمصر .

وله قصيدة طويلة هجا فيها أبا عبد الله البريدى عندما ولاه الخليفة الراضى الوزارة يقول فيها :

يا سماء اسقطى ويا أرض ميدى ... قد تولى الوزارة ابن البريدى
جل خطب وحل أمر عضال ... وبلاء أشاب رأس الوليد
هد ركن الإسلام وانتهك الملـ ... ـك وامحت آثاره فهو مودى
أخلقت مهجعة الزمان كما أنهج ... طول اللباس وشى البرود(١)

وقال فى رثاء (ديك) وهو من أروع ماقيل فى رثاء الحيوان :

خطب طرقت به أمر طروق ... فظ الحلول على غير شفيق
فكأنها نوب الزمان محيطة ... بى راصدات لى بكل طريق
حتى متى تنحى على صروفها ... وتغصنى فجعاتهـا بالريق
ذهبت بكل مصاحب ومناسب ... وموافق ومرافق وصديق
حتى بديك كنت آلف قربه ... حسن إلى من الديوك رشيق
ألقى عليه الدهر منه كلاكلا ... يفنى الورى ويشب كل فريق
ورماه منه بحد سهم شائك ... بذخائر المستطهرين علوق

---

(١) معجم الأدباء ١٦٥/٥
(٢) المرجع السابق ١٥٥/٥ ياقوت

كتاب « الأغانى »

يعد كتاب الأغانى من ذخائر التراث العربى ومن أكثرها شهرة ، ألفه أبو الفرج فى خمسين سنة . وأهداه إلى سيف الدولة الحمدانى فأنفذ إليه ألف دينار واعتذر إليه فلما سمع بذلك الصاحب بن عباد استقلها .

وقد أجمع المؤرخون وأهل الأدب على أن هذا الكتاب فريد فى بابه ولولاه لضاع الكثير من أخبار الجاهلية وصدر الإسلام وأيام بنى أمية .

وسماه « الأغانى » لأنه بنى مادته فى البدء على مائة صوت كان هارون الرشيد قد أمر مغنيه إبراهيم الموصلى أن يختارها له ، وضم إليه أصواتا زيدت للخليفة الواثق وأصواتاً أخرى اختارها هو بنفسه وحدد غرضه من الكتاب بأنه « نسب ما ذكره من الأغانى إلى قائل شعره وصانع لحنه ، وطريقته ·

ثم امتد به القول إلى السبب الذى من أجله قيل الشعر أو صنع اللحن وما يشاكل الموضوع أو يوضحه من أخبار وسير ، وأشعار ورسائل وخطب وقصص وملح ونكت ونوادر فاشتمل الكتاب على أكثر أيام العرب ووقائعهم وغزواتهم وأخبار قبائلهم وأنسابهم ومياههم .

كما وصف البادية وما عليها من حيوان وشجر والبدو وما يحكمهم من عادات وخلائق .

وفضلا عن ذلك فقد وصف القصور فى المدن الكبرى وما فيها من أثاث ورياش كما وصف عادات أصحابها وتقاليدهم وأفراحهم وأحزانهم

وموائدهم ومشاربهم وصور لنا الحياة الاجتماعية العباسية تصويرا دقيقا في عصر من أزهى عصور الدولة الإسلامية وأرقاها

ولما كان أبو الفرج شاعرا حسن الشعر فقد زين كتابه بالأشعار المختارة وحلاه بالمقطوعات الرقيقة وملأه بالقصص الممتعة التي أبدع في تصويرها في أسلوب رشيق ومعنى دقيق يقول في المقدمة :

إن القارىء إذا تأمل ما فيه من الفقر ونحوها لم يزل منتقلا بها من فائدة إلى فائدة ومتصرفا فيها من جد إلى هزل وآثار وأخبار وسير وأشعار متصلة بأيام العرب المشهورة وأخبارها المأثورة وقصص الملوك في الجاهلية ، والخلفاء في الإسلام يجمل بالمتأدبين معرفتها وتحتاج الأحداث إلى دراستها ولا يرتفع من فوقهم من الكهول عن الاقتباس منها إذا كانت منتخبة من غرر الأخبار ومنتقاة من عيونها ومأخوذة من مظانها ومنقولة عن أهل الخبرة بها (١)

وفضلا عن ذلك فالكتاب يعد من أهم مصادر الغناء العربي فقد حفل بأخبار المغنين والمغنيات في صدر الإسلام والدولة الأموية وصدر الدولة العباسية ولا يضارعه في ذلك كتاب آخر .

وقد انتشر الكتاب شرقا وغربا وملأ صيته الآفاق واستفاد منه الباحثون والدارسون فائدة عظيمة .

أما مصادر الكتاب فهي كثيرة ومتعددة منها المشافهة ومنها السماع

---

(١) انظر المقدمة بقلم المؤلف .

ومنها القراءة من الكتب وقد مزج أبو الفرج بين تلك الأخبار وتمم بعضها ببعض ونسقها بحذف العناصر المتناقضة فيها .

وكان أبو الفرج يفصل بين سلوك الأديب ونتاجه الأدبى ويرى أن حياة الأديب وما فيها من سلوك غير سوى . شىء وما يصدر عنه من أدب شىء آخر .

مثال ذلك أنه ذكر : أن الأحوص كان دنىء الأخلاق والفعال قليل المروءة هجّاء للناس ويذكر من ذلك قصصاً كثيرة يبرهن بها على صحة رأيه ثم يقول :

ولم أذكر ما جرى منه للغض منه فى شعره ولكننا ذكرنا من كل ما يؤثر عنه وما تعرف به حاله من تقدم وتأخر وفضيلة ونقص. فأما تفضيله وتقدمه فى الشعر فمتعالم مشهور فهو أشد تقدما عن بقية الشعراء عند جماعة من أهل الحجاز وأكثر الرواة وهو أسمح طبعا وأسهل كلاما وأوضح معنى منهم ولشعره رونق وديباجة صافية وحلاوة وعذوبة ألفاظ ليست لواحد منهم وشعره ينبىء عن نفسه ويدل على فضله فيه وتقدمه .

وأحياناً كان يلجأ إلى شرح الكلمات الغامضة فى الشعر الذى يورده إذا رأى أنها تحتاج إلى شرح وتفسير كما يتجلى ذلك فى شرحه لكلمات وردت فى قول عنترة :

بكرت تخوفنى الحتوف كأننى أصبحت من عرض الحتوف بمعزل
فأجبتها إن المنية منهل لابد أن أسقى بكأس المنهل

فاقنى حياءك — لا أبالك واعلمى   أنى امرؤ سأموت إن لم أقتل

يقول معقبا على هذه الأبيات :

الحتوف : ما عرض للإنسان من المكاره والمتالف

بمعزل : أى فى ناحية معتزلة عن ذلك .

منهل : مورد .

فاقنى حياءك : أى احفظيه ولا تضيعيه»

« لكن يؤخذ على أبى الفرج أنه — وقد تأثر بأخلاقه الشخصية ومنهجه فى التأليف اهتم بسرد الجوانب الإنسانية الضعيفة فى حياة الشعراء وركز على جانب الخلاعة والمجون فى تصرفاتهم وأهمل الجاد الرزين المعتدل منها مما يوهم القارىء بأن بغداد لم تكن على أيامه إلا مدينة نافقة بالمجان والخلعاء والقيان والسكارى .

ولقد كان فى بغداد هذا اللون من الحياة حقا وربما على نحو أكثر وأبلغ مما قص أبو الفرج لكن الحق أيضا أن هذا الجانب لم يكن هو كل ما هنالك ولا حتى الجانب الأوفر منه وإنما كانت تقوم إلى جانبه وعلى نحو أكثر إشراقا حياة علمية جادة ودعوات صوفية زاهدة وكانت بغداد أكبر مركز للمتصوفين [١]

---

(٢) دراسة فى مصادر الأدب ٢٠٤ د الطاهر مكى

آراء العلماء فيه :

أجمع العلماء الذين اطلعوا على كتاب الأغانى أنه من أكثر كتب التراث فائدة ومن أجلها منفعة ، وبالغوا فى تقريظه والثناء عليه .

يقول أبو محمد المهلبى : سألت أبا الفرج فى كم جمعت هذا الكتاب ؟ فذكر أنه جمعه فى خمسين سنة وأنه كتبه فى عمره مرة واحدة بخطه ، وأهداه إلى سيف الدولة فأنفذ له ألف دينار ولما سمع الصاحب بن عباد قال : لقد قصر سيف الدولة وإنه ليستحق أضعافها إذ كان مشحونا بالمحاسن المنتخبة ، والفقر الغريبة ، فهو للزاهد فكاهة ، وللعالم مادة وزيادة ، وللكاتب المتأدب بضاعة وتجارة ، وللبطل رجلة وشجاعة ، وللمتظرف رياضة وصناعة وللملك طيبة ولذاذة .

ولقد اشتملت خزائنى على مائة ألف وسبعة عشر ألف مجلد ملهيها سميرى غيره ، ولقد عنيت بامتحانه فى أخبار العرب وغيرهم فوجدت جميع مايعزب عن أسماع من قرفه . بذلك أورده العلماء فى كتبهم ففاز بالسبق فى جمعه وحسن وضعه وتأليفه[١]

وقال ابن خلدون : وقد ألف القاضى أبو الفرج الأصبهانى وهو ماهو كتابه الأغانى جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم

---

(١) كشف الظنون ١٢٦/١ كاتب جلبى

وجعل مبناه على الغنـــاء فى المائة الصوت التى اختارها المغنون للرشيد فاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب وأوفاه .

ولعمرى إنه ديوان العرب جمع أشتات المحاسن التى سلفت لهم فى كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الأحوال ، ولا يعدل به فى ذلك كتاب فيما نعلمه[١] .

أما ياقوت فقد وجه نقدا للكتاب فى قوله :

وقد تأملت هذا الكتاب وعنيت به وطالعته مرارا وكتبت منه نسخة بخطى فى عشرة مجلدات ، ونقلت منه إلى كتابى الموسوم (بأخبار الشعراء) فأكثرت وجمعت تراجمه فوجدته يعد بشىء ولا يفى به فى غير موضع منه .

كقوله فى أخبار أبى العتاهيه (وقد طالت أخباره هاهنا وسنذكر خبره مع عتب فى موضع آخر) ولم يفعل .

وفى موضع آخر يقول عن أبى نواس (أخبار أبى نواس مع جنان إذ كانت سائرة أخباره قد تقدمت) ولم يتقدم شىء إلى أشباه ذلك .

يقول ياقوت : وما أظن إلا أن الكتاب قد سقط منه شىء أو يكون النسيان غلب عليه والله أعلم[٢] .

---

(١) المقدمة ٤٨٦ لابن خلدون

(٢) معجم الأدباء ١٥١/٥ ياقوت

هذا وقد حاول عدد كبير من المؤلفين أن يختصروا كتاب الأغانى إحساسا منهم بضخامته ووفرة مادته .

وأول من فعل ذلك أبو الفرج الأصفهانى نفسه فقد أوجزه فى كتاب أسماه (مجرد الأغانى) ولكنه ضاع ولم يصل إلينا .

كما قام من بعده غير واحد من المؤلفين بهذا العمل ومنهم :

١ — أبو الفتح عثمان بن عيسى البلطى المتوفى سنه ٥٩٩هـ

٢ — القاضى جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله المعروف بابن واصل الحموى المتوفى سنة ٦٩٧هـ وأسماه (تجريد الأغانى من ذكر المثالث والمثانى) .

٣ — جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور صاحب (لسان العرب) المتوفى سنة ٧١١هـ حيث لخص كتاب الأغانى ورتبه على حروف الهجاء وأسماه (مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى) .

هذا وقد طبع كتاب الأغانى عدة طبعات منها طبعة بولاق سنة ١٣٠٥هـ وطبعة محمد الساسى التونسى فى القاهرة سنة ١٣٢٣هـ ثم طبعته دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٥م وهى طبعة دقيقة وافية .

نموذج من الكتاب

إسلام جبلة بن الأيهم

لما أسلم جبلة بن الأيهم الغسانى وكان من ملوك آل جفنة كتب إلى عمر رضى الله عنه يستأذنه فى القدوم عليه فأذن له عمر فخرج إليه فى خمسمائة من أهل بيته من علك وغسان ، حتى إذا كان على مرحلتين كتب إلى عمر يعلمه بقدومه فسر عمر رضوان الله عليه ، وأمر الناس باستقباله وبعث إليه بأنزال ، وأمر جبلة مائتى رجل من أصحابه فلبسوا السلاح والحديد وركبوا الخيول معقودة أذنابها وألبسوها قلائد الذهب والفضة ، ولبس جبلة تاجه وفيه قرطا مارية وهى جدته .

ودخل المدينة فلم يبق بها بكر ولا عانس إلا تبرجت وخرجت تنظر إليه وإلى زيه . فلما انتهى إلى عمر رحب به والطفه وأدنى مجلسه .

ثم أراد عمر الحج فخرج معه جبله ، فبينما هو يطوف بالبيت وكان مشهوداً بالموسم إذ وطىء إزاره الرجل من بنى فزارة فانحل، فرفع جبلة يده فهشم أنف الفزارى فاستعدى عليه عمر رضوان الله عليه فبعث إلى جبلة فأتاه فقال : ما هذا ؟ : قال نعم يا أمير المؤمنين إنه تعمد حل إزارى، ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف .

فقال له عمر : قد أقررت فإما أن ترضى الرجل وإما أن أقيده منك

قال جبلة : ماذا تصنع بى ؟ قال : آمر بهشم أنفك كما فعلت .

قال : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وهو سوقة وأنا ملك ؟

قال إن الإسلام جمعك وإياه فلست تفضله بشيء إلا التقى والعافية .

قال جبلة : لقد ظننت يا أمير المؤمنين أنى أكون فى الإسلام أعز منى فى الجاهلية .

قال عمر : دع عنك هذا فإنك إن لم ترض الرجل أقدته منك .

قال : إذاً أتنصر ؟

قال : إن تنصرت ضربت عنقك لأنك قد أسلمت فإن ارتددت قتلتك .

فلما رأى جبلة الصدق من عمر قال : أنا ناظر فى هذا ليلتى هذه . وقد اجتمع بباب عمر من حى هذا وحى هذا خلق كثير حتى كادت تكون بينهم فتنة .

فلما أمسوا أذن له عمر بالانصراف حتى إذا نام الناس وهدأوا حمل جبلة بخيله ورواحله إلى الشام، فأصبحت مكة منهم بلاقع فلما انتهى إلى الشام تحمل فى خمسمائة رجل من قومه حتى أتى القسطنطينية فدخل إلى هرقل فتنصر هو وقومه فسر هرقل بذلك جداً وظن أنه فتح من الفتوح عظيم، وأقطعه حيث شاء وأجرى عليه من النزل ما شاء وجعله من محدثيه وسماره(١) .

هذه هى قصة إسلام جبلة بن الأيهم كما رواها أبو الفرج فى كتابه ، والمتأمل فى أحداثها يلاحظ أن أبا الفرج كان قصاصا بارعا يجيد حبك

(١) الأغانى ١٤/٤

القصة بمقوماتها وعناصرها الفنية التى عرفت بها فى العصر الحديث مع عناية بالغة بالألفاظ وحسن انتقائها واستعمالها فهو يضع اللفظ المناسب فى المكان المناسب فجاءت قصته لوحة فنية جميلة متناسقة الألوان والأصباغ

ولقد اكتملت لهذه القصة جميع العناصر الفنية للقصة بمفهومها الحديث من حيث الزمان والمكان والأشخاص والعقده ثم الحل .

فالزمان هو عصر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

والمكان المدينة المنورة ، ومكة المكرمة

والأشخاص أمير المؤمنين عمر وأصحابه وجبلة بن الأيهم وأصحابه والفزارى الذى حل إزار جبلة .

والعقدة قد وصلت إلى ذروة التأزم عندما صمم عمر على القصاص من جبلة .

والحل هروب جبلة وقومه وفرارهم إلى هرقل

ولقد برع أبو الفرج فى تصوير الصراع الذى دار فى نفس جبلة بين حبه للاسلام واعتزازه بملك الجاهلية .

كما أبرز بصدق التناقض بين شخصيتى عمر الذى كان عادلا فى حكمه وشخصية جبلة الذى كان على الرغم من إسلامه ما يزال فى قلبه بقية من غرور الملك وطغيان الحكم .

وقد عاب بعض المستشرقين ، وبعض ضعاف الإيمان من المسلمين موقف عمر هذا ورأوا أنه لم يكن سياسيا بارعا وأن الموقف كان يحتم عليه أن

يرضى غرور جبلة بأى ثمن حتى يستفيد الإسلام به وبقومه .

أقول : إذا كان هؤلاء وهؤلاء رأوا ذلك فإننى أقول لهم :

إن الإسلام ليس فى حاجة إلى إسلام جبلة أو غيره بقدر حاجته إلى مثالية عمر وعداله المطلقة فى تطبيق الإســلام والأخذ على يد المعتدين بصرف النظر عن مكانتهم .

ولا شك أن عمر عندما وقف هذا الموقف من جبلة كان يضع نصب عينيه موقفا مماثلا حدث أيام النبى صلى الله عليه وسلم عندما سرقت امرأة من بنى مخزوم وحاول بعض الصحابة أن يشفع لها عند الرسول لمكانتها فى قومها فغضب النبى صلى الله عليه وسلم وقال أتشفعون فى حد من حدود الله ؟ والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها .

وهكذا كان الإسلام دائما وما يزال لا يفرق بين غنى ولا فقير ولا ملك ولا سوقة ولا أسود ولا أبيض إلا بالتقوى والعمل الصالح وصدق الله العظيم الذى يقول « إن أكرمكم عند الله أتقاكم »

ثالثا « العقد الفريد » لابن عبد ربه

ينسب هذا الكتاب إلى ابن عبد ربه الأندلسي وهو : أبو عمر شهاب الدين أحمد بن عبد ربه بن حبيب القرطبي الأندلسي .

ولد في قرطبة سنة ٢٤٦ هـ وهي يومئذ عاصمة الأندلس ومركز الحضارة في أوربا كلها ، وبها نشأ ، ومن ثقافتها نهل .

وتلقى العلم على أعلام الثقافة في عصره أمثال محمد بن وضاح المتوفى سنة ٢٨٦ هـ وبقى بن مخلد المتوفى سنة ٢٧٦ هـ وعثمان بن المثنى المتوفى سنة ٢٧٣ ومحمد بن الحارث الخشني المتوفى سنة ٢٨٦ هـ وغيرهم من العلماء الأفذاذ

ثم أخـــذ يطالع في نخبة من الكتب الأدبية التي ذاع صيتها في بلاد الأندلس أمثال :

« البيان والتبيين » للجاحظ ، و « عيون الأخبار » لابن قتيبة و « الكامل » للمبرد . فتكونت شخصيته الثقافية والأدبية وأصبح عالما من علماء اللغة والأدب والفقه والتفسير والحديث ونبغ في ذلك كله

وقد كان المجتمع الأندلسي بعامة والقرطبي بخاصة حضريا مترفا بلغ فيه ذوق الناس العام قدرا عاليا من الرقة وتذوق الفنون الجميلة ، يطرب للموسيقى والشعر ويهتز للانشاد الجميل والغناء الحلو تأسره الطبيعة بجمالها وسهولها وجبالها وشمسها وقمرها وتميزت حضارته بأنها تعشق المياه الجارية

والبساتين الخضرة والبحيرات المتصلة والألوان المنتثرة فى عصر الحصون والأسوار والقصور المظلمة[١]

وقد تأثر ابن عبد ربه بهذه الطبيعة الساحرة لبلاد الأندلس فكان إلى جانب علمه وفضله عاشقا للغناء ، محبا للموسيقى . ميالا للطرب .

والذى ساعده على ذلك أنه كان ملازما للأمير محمد بن عبد الرحمن حاكم قرطبة الذى كان واقعا تحت تأثير « زرياب » المغنى المعروف الذى نشر الغناء وأشاع الموسيقى فى بلاد الأندلس .

وقد اعترف ابن عبد ربه بأنه كان يحب سماع الموسيقى والأغانى على طريقة أهل المدينة وأنه يشرب النبيذ جريا على مذهب أهل العراق حيث يقول

دينا فى السماع دين مدينى وفى شربنا الشراب عراقى

وقد دافع فى « العقد الفريد » عن الغناء حيث يقول

« إن كانت الألحان مكروهة فالقرآن والآذان أحق بالتنزيه عنها ، وإن كانت غير مكروهة فالشعر أحوج إليها »

ويبدو أن حبه للغناء ، وميله للطرب واتجاهه إلى الملذات ، كان فى المراحل الأولى من عمره حيث الشباب والطيش والإقبال على الدنيا ... بدليل أنه تاب فى آخر أيامه وعزف عن الدنيا ومباهجها واتجه إلى الزهد والتقوى .

---

(١) دراسة فى مصادر الأدب ٢٢٠ د. الطاهر مكى

فقد روى أنه زهد فى آخر أيامه ودفعه هذا إلى أن يراجع أشعاره فى الغزل والشراب ويقابلها على وزنها بشعر فى المواعظ والزهد وقد سمى هذه الأشعار الجديدة الممحصات ، فقصيدته الغزلية التى مطلعها :

هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر   هيهات يأبى عليك الله والقدر
ما زلت أبكى حذار البين ملتهفا   حتى رثى لى فيك الريح والمطر
يا برده من حيا مزن على كبد   نيرانها بغليل الشوق تستعر
آليت ألا أرى شمسا ولا قمرا   حتى أراك فأنت الشمس والقمر

نقضها بقوله

يا عاجزا ليس يعفو حين يقتدر   ولا يقضى له من عيشه وطر
عاين بقلبك إن العين غافلة   عن الحقيقة وأعلم أنها سقر
سوداء تزفر عن غيظ إذا سعرت   للظالمين فلا تبقى ولا تذر
إن الذين اشتروا دنيا بآخرة   وشقوة بنعيم ساء ما تجروا

وكما كان ابن عبد ربه فقيها كاتبا ، فقد كان كذلك شاعرا مفلقا ، وقد ذكر ابن خلكان فى « وفيات الأعيان » أن له ديوان شعر جيد ولكنه قد ضاع مع ماضاع من تراث الأندلس كما روى له الثعالبى فى «اليتيمة» مقطوعات كثيرة من شعره معظمها فى الغزل والخمر .

وروى ياقوت فى « إرشاد الأريب » أن أبا الطيب المتنبى لقى أبا الوليد بن عسّال الأندلسى فى مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط فى مصر فجرى بينهما حديث ثم قال المتنبى لابن عسال أنشدنى لمليح الأندلس يعنى ابن عبد ربه ،

فأنشده قوله :

يالؤلؤا يسبى العقول أنيقا ورشا بتقطيع القلوب رفيقا
ما إن رميت ولا سمعت بمثله درا يعود من الحياء عقيقا
وإذا نظرت إلى محاسن وجهه أبصرت وجهك في سناه غريقا
يامن تقطع خصره من رقة مابال قلبك لايكون رقيقا

فاستعاده المتنبى ثم صفق بيديه وقال : « يا ابن عبد ربه لقد يأتيك العراق حبوا » .

وقد لزم ابن عبد ربه الأندلس طوال حياته فلم تعرف له أية رحلة إلى بلد آخر ، ومعارفه الواسعة عن الثقافة المشرقية جاءته من أساتذته ممن رحلوا إلى المشرق ، ومن قراءاته ومن صلاته بعلماء المشرق الوافدين على الأندلس .

وقد مرض بالفالج فى آخر أيامه وهو نفس المرض الذى أصيب به الجاحظ من قبل وتوفي سنة ٣٢٨ هـ .

« العقــد الفريد »

أجمع النقاد وأهل العلم على أن كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه يلى كتاب « الأغانى » لأبى الفرج من حيث موضوعه وضخامة مادته ، وقد درج الناس على تسميته « بالعقـد الفريد » دون شك يراودهم فى أن زيادة لحقت إسمه ، أو تحويراً أصابه ، إلى أن كتب المستشرق الألمانى « بروكلمان » فى مادة « ابن عبد ربه » فى دائرة المعارف الإسلامية فأوضح أن كلمة « الفريد » أضافها المتأخرون دون أن يستطرد إلى ذكر ما يساند رأيه .

وإن يكن من الواضح الآن أن العالم الألمانى قرر ذلك اعتماداً على أن جميع المصادر الأولية لا يرى فيها « العقـد » منعوتاً بالفريد فلا الفتح بن خاقان فى « مطمع الأنفس » ولا ياقوت فى « معجم الأدباء » ولا ابن صاعد الأندلسى فى « طبقات الأمم » ولا ابن خلكان فى « وفيات الأعيان » ولا المقرى فى « نفح الطيب » ولا إبن أبى أصيبعة فى « عيون الأنباء فى طبقات الأطبـاء » ولا ابن خلدون فى « تاريخه » ولا حاجى خليفة فى « كشف الظنون » أشار إلى نعت الفريد وكان الوحيد الذى أشار إليها هو الأبشيهى فى كتابه « المستطرف فى كل فن مستظرف » [١] .

ومعنى هذا أن صفة « الفريد » قد أضافها المتأخرون إلى الكتاب مما يوحى بإعجابهم به ونظرتهم إليه بوصفه فريداً فى بابه .

---

(١) دراسة فى مصادر الأدب ٢٢٤ د . الطاهر مكى

و « العقد الفريد » كتاب أدبى جامع لفنون الخطب والشعر وأقوال العلماء ، والحكماء كما أنه يتضمن بحوثاً فى العلوم المتصلة بالأدب كعلم العروض وعلم الألحان ، والنتف التاريخية ، وأخبار العرب الجاهليين والإسلاميين ، وأنسابهم وأيامهم ، وهو من أمهات الكتب الأدبية حيث حوى خير ما ألف فى موضوعه من الكتب السابقة ، ولم يقتصر على ماعرفه بل نقل عن الكتب التى ترجمت إلى العربية فى ذلك الزمن عن اليونانية والهندية والفارسية[١] .

وقد أوضح لنا ابن عبد ربه منهجه فى تأليف هذا الكتاب فذكر أنه اختار وأحسن الاختيار ، وانتقى جواهره من خير ما فى الأدب ، ومن جوامع الكلم ، وأنه نخل نظائر الكلام ، وأشكال المعانى ، وجواهر الحكم ، وضروب الأدب ، ونوادر الأمثال ، ثم قرن كل جنس منها إلى جنسه .

وأنه تخير من جملة الأخبار أشرفها جوهراً ، وأظهرها رونقاً وألطفها معنى ، وأجزلها لفظاً ، وأحسنها ديباجة وأكثرها طلاوة وحلاوة .

ثم ذكر : أنه حذف الأسانيد من أكثر الاخبار طلباً للاستخفاف والإيجاز ، وهرباً من التثقيل والتطويل ، لأنها أخبار ممتعة ، وحكم ونوادر لا ينفعها الإسناد باتصاله ولا يضرها ماحذف منها .

---

(١) مقتطفات من كتب الأدب العربى ٢٥٤ د. طه حسين وآخرين .

وأنه نظر فى بعض الكتب الموضوعه فوجدها غير متصرفة فى فنون الأخبار ، ولا جامعة لجمل الآثار ، فجعل العقد كافياً شافياً جامعاً لأكثر المعانى التى تجرى على أفواه العامة والخاصة وتدور على ألسنة الملوك والسوقة ، وحلى كل كتاب منها بشواهد من الشعر ، تجانس الأخبار فى معانيها ، وتوافقهما فى مذاهبها ، وقرن بها غرائب من شعره ليعلم الناظر فى كتابه أن للمغرب على قاصيته ، ولبلده على انقطاعه حظاً من المنظوم والمنثور . . .

والآن نترك المؤلف يقدم لنا كتابه بنفسه لنتعرف على طريقته فى التفكير وأسلوبه فى الكتابة يقول :

وقد ألفت هذا الكتاب ، وتخيرت جواهره من متخير جواهر الآداب ومحصول جوامع البيان ، فكان جوهر الجوهر ولباب اللباب ، وإنما لى فيه تأليف الأخبار وفضل الاختيار ، وحسن الاختصار ، وماسواه فمأخوذ من أفواه العلماء ، ومأثور عن الحكماء والأدباء ، واختيار الكلام أصعب من تأليفه ، وقد قالوا : اختيار الرجل وافر عقله وقال الشاعر :

قد عرفناك باختيارك إذ كا　　ن دليلا على اللبيب اختياره

وقال أفلاطون : عقول الناس مدونة فى أطراف أقلامهم وظاهرة فى حسن اختيارهم .

فتطلبت نظائر الكلام ، وأشكال المعانى ، وجواهر الحكم ، ونوادر

الأمثال ، ثم قرنت كل جنس منها إلى جنسه فجعلته بابا على حدته ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب ، ونظيره فى كل باب .

وقصدت من جمله الأخبار ، وفنون الآثار ، أشرفها جوهرا ، وأظهرها رونقا ، وأجزلها لفظا ، وأحسنها ، ديباجة ، وأكثرها طلاوة ، وحلاوة ، آخذ بقول الله تبارك وتعالى « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » .

وحذفت الأسانيد من أكثر الأخبار طلبا للاستخفاف والإيجاز وهربا من التثقيل والتطويل ، لأنها أخبار ممتعة وحكم ونوادر لا ينفعها الإسناد باتصاله ولا يضرها ماحذف منها .

وقد كان بعضهم يحذف أسانيد الحديث من سنة متبعة وشريعة مفروضة فكيف لا نحذفه من نادرة شاردة ، ومثل سائر ، وخبر مستطرف ، وحديث يذهب نوره إذا طال وكثر .

وقد نظرت فى بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متصرفة فى فنون الأخبار ، ولا جامعة لجمل الآثار فجعلت هذا الكتاب كافيا شافيا جامعا لأكثر المعانى التى تجرى على أفواه العامة والخاصة وتدور على ألسنة الملوك والسوقة وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر ، تجانس الأخبار فى معانيها ، وتوافقها فى مذاهبها وقرنت بها غرائب من شعرى ليعلم الناظر فى كتابنا أن لمغربنا على قاصيته وبلدنا على انقطاعه حظا من المنظوم والمنثور[1] .

---

(١) انظر مقدمة العقد ١/٦ .

وتسميته كتاب « العقد الفريد » لما فيه من مختلف جواهر الكلام مع دقة السلك وحسن النظام وجزأته على خمسة وعشرين كتابا وقد انفرد كل كتاب منها باسم جوهرة من جواهر العقد.

لقد تصور المؤلف - رحمه الله - أن كتابه عقدا ثمينا مكونا من خمس وعشرين جوهرة كريمة اثنتا عشرة فى جانب واثنتا عشرة أخرى فى جانب وجعل للعقد واسطة لكنه لم يسم إلا الاثنتى عشرة الأولى فلؤلؤة ، وفريدة ، وزبرجدة ، وجمانة ، وياقوته ، وجوهرة ، وزمردة ، ودرة ، ويتيمة ، وعسجدة ومجنبة .

أما الاثنتا عشرة التى فى الجانب الآخر فهى هذه الأسماء مكررة فاللؤلؤة الثانية والفريدة الثانية والزبرجدة الثانية وهكذا أما موضوع هذه الجواهر فهى كالآتى:

١ - اللؤلؤة فى السلطان .

٢ - الفريدة فى الحروب ومدار أمرها .

٣ - الزبرجدة فى الأجواد والأصفاد .

٤ - الجمانة فى الوفود .

٥ - المرجانة فى مخاطبة الملوك .

٦ - الياقوته فى العلم والأدب .

٧ ـ الجوهرة فى الأمثال .

٨ ـ الزمردة فى المواعظ والزهد .

٩ ـ الدرة فى التعازى والمراثى .

١٠ ـ اليتيمة فى النسب وفضائل العرب .

١١ ـ المسجدة فى كلام الأعراب .

١٢ ـ المجنبة فى الأجوبة .

١٣ ـ الواسطة فى الخطب .

١٤ ـ المجنبة الثانية فى التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتبة .

١٥ ـ المسجدة الثانية فى الخلفاء وتواريخهم وأيامهم .

١٦ ـ اليتيمة الثانية فى أخبار زياد ، والحجاج والطالبيين والبرامكة .

١٧ ـ الدرة الثانية فى أيام العرب ووقائعهم .

١٨ ـ الزمردة الثانية فى فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه .

١٩ ـ الجوهرة الثانية فى أعاريض الشعر وعلل القوافى .

٢٠ ـ الياقوتة الثانية فى علم الألحان واختلاف الناس فيه .

٢١ ـ المرجانة الثانية فى النساء وصفاتهن .

٢٢ ـ الجمانة الثانية فى المتنبئين والممرورين والبخلاء والطفيليين .

٢٣ - الزبرجدة الثانية فى طبائع الإنسان ، وسائر الحيوان ، والبلدان .

٢٤ - الفريدة الثانية فى الطعام والشراب .

٢٥ - اللؤلؤة الثانية فى النتف والهدايا والفكاهات والملح .

والمتأمل فى مادة الكتاب وموضوعه يدرك أن صاحب العقد أراد أن يجعل من كتابه دائرة معارف للأدب والتاريخ والأخبار والأنساب وكل مايتصل بالمعارف الموجودة فى عصره ، ولاشك أنه تأثر كثيرا بما كتب فى المشرق العربى من أمثال : « البيان والتبيين » للجاحظ و « الكامل » للمبرد « وعيون الأخبار » لابن قتيبة وكان الكتاب الأخير من أوضح المصادر تأثيرا فى « العقد الفريد » لأنه كان رائجا فى الأندلس ، وقد نقل منه ابن عبد ربه كثيرا من مادة كتابه كما استفاد منه فى منهجه .

وعلى الرغم من أن الكتاب قد ألف فى الأندلس فقد اهتم مؤلفه بأخبار المشرق العربى أكثر من اهتمامه بالبيئة التى ألف فيها كتابه ولذلك يروى أن الصاحب بن عباد عندما اطلع على نسخة من العقد الفريد قال : هذه بضاعتنا ردت إلينا ظننت أن هذا الكتاب يشتمل على شىء من أخبار بلادهم وإنما هو يشتمل على أخبار بلادنا لاحاجة لنا فيه .

ومهما يكن : فإن العقد الفريد يعد من المصادر المهمة فى تاريخ الحضارة العربية بجوانبها المختلفة سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية وهو لايقل

أثروا عن كتب الجاحظ وابن قتيبة وأبى الفرج الأصبهانى وغيرهم من كتاب المشرق العربى آنذاك .

ولقد أثر الكتاب فى كثير من المؤلفات التى جاءت من بعده حيث نقل عنه واستفاد منه كثير من المؤلفين أمثال :

الأبشيهى فى كتابه « المستطرف فى كل فن مستظرف » وابن خلدون فى تاريخه ، والقلقشندى فى كتابه « صبح الأعشى » والبغدادى فى كتابه « خزانة الأدب » وغيرهم من المتأخرين .

كما اختصر الكتاب عدد من المؤلفين فى القديم والحديث فمن الذين اختصروه قديما .

١ - أبو اسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن الوادى آشى القيسى المتوفى سنة ٧٥٠هـ وهو أندلسى من وادى آس .

٢ - كما اختصره جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصارى المعروف بابن منظور صاحب « لسان العرب » والمتوفى سنة ٧١١هـ وقد اختصر كتاب « الأغانى » كما سبق ذكره .

وفى العصر الحديث اختصرته لجنة من أساتذة دار العلوم سنة ١٩١٣ وأسمته « مختار العقد » .

وقد طبع (العقد الفريد) عدة طبعات فى مصر حيث طبع فى مطبعة بولاق لأول مرة سنة ١٢٩٣هـ وفى المطبعة العثمانية سنة ١٣٠٢هـ وفى المطبعة

الشرقية سنة ١٣٠٥هـ وفى المطبعة الأزهرية سنة ١٣٢١هـ وفى المطبعة الجمالية سنة ١٣٣١هـ وفى مطبعة مصطفى محمد سنة ١٣٥٣هـ ثم طبعته المكتبة التجارية لمصطفى محمد مرة ثانية سنة ١٩٤٣م بتحقيق محمد سعيد العريان .

ولكن يؤخذ على هذه الطبعات جميعا كثرة الأخطاء وعدم الدقة إلى أن قامت لجنة التأليف والترجمة والنشر بطبعه ونشره سنة ١٩٤٠ بتحقيق الأساتذة : أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وإبراهيم الأبيارى .

نموذج من الكتاب

بين عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص

كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى عمرو بن العاص ، وكان عامله على مصر .

من عبد الله : عمر بن الخطاب إلى : عمرو بن العاص ، سلام عليك

أما بعد : فإنه بلغنى أنك فشت لك فاشية من خيل وإبل وغنم وبقر وعبيد وعهدى بك قبل ذلك أن لامال لك فاكتب إلىّ من أين أصل هذا المال ولا تكتمه .

فكتبَ إليه :

من عمرو بن العاص إلى عبد الله : عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، سلام عليك فإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو أما بعد : فإنه أتانى كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه ما فشا لى وأنه يعرفنى قبل ذلك ولامال لى .

وإنى أعلم أمير المؤمنين أنى ببلد السعر به رخيص ، وإنى أعالج من الحرفة والزراعة مايعالجه أهله ، وليس فى رزق أمير المؤمنين سعة ، ووالله لو رأيت خيانتك حلالا ماخنتك . فأقصر أيها الرجل فإن لنا أحسابا هى خير من العمل لك إن رجعنا إليها عشنا بها ، ولعمرى إن عندك من لايذم معيشته ولاتذم له ، وذكرت أن عندك من المهاجرين الأولين من هو خير منى فإن كان ذلك لم نفتح تفلك ، ولم نشركك فى عملك .

فكتب إليه عمر :

أما بعد ، فإنى والله ماأنا ممن أساطيرك التى تسطر ، ونسقك الكلام فى غير مرجع ، ومايغنى عنك أن تزكى نفسك .

وقد بعثت إليك محمد بن مسلمة فشاطره مالك ، فإنكم أيها الرهط من الأمراء جلستم على عيون المال ثم لم يعوزكم عذر ، تجمعون لأبنائكم وتمهدون لأنفسكم ، أما إنكم تجمعون العار وتورثون النار والسلام .

[تم بحمد الله]

المصادر والمراجع

١ ــ الآمدى « الموازنة بين الطائيين » ط مصر .

٢ ــ ابن الأنبارى « نزهة الألبا فى طبقات الأدبا » ط بيروت .

٣ ــ ابن تغرى بردى « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » .

٤ ــ ابن الأثير (ضياء الدين أبو الفتح) « المثل السائر » ط . مصر .

٥ ــ ابن الخطيب (لسان الدين) « الاحاطة فى أخبار غرناطة »
تحقيق محمد عبد الله عنان .

٧ ــ ابن خلدون « المقدمة » ط المطبعة البهية . القاهرة .

٨ ــ ابن خلكان « وفيات الأعيان » ط . دار صادر بيروت .

٩ ــ ابن رشيق « العمدة » ط . مصر .

١٠ ــ ابن سعد « الطبقات الكبرى » ط مصر .

١١ ــ ابن شاكر الكتبى « فوات الوفيات » ط القاهرة .

١٢ ــ ابن الشجرى « الحماسة الشجرية » تحقيق عبد المعين المليحى

١٣ ــ ابن عبد ربه « العقد الفريد » ط . القاهرة سنة ١٩٣٥م .

١٤ ــ ابن العماد « شذرات الذهب » ط مصر .

١٥ ــ ابن قتيبة (أ) « أدب الكاتب » ط . مصر

(ب) « الشعر والشعراء » ط . دار المعارف .

(جـ) « عيون الأخبار » ط . دار الكتب .

١٦ ــ ابن كثير « البداية والنهاية » ط . مصر .

١٧ ــ ابن المعتز (أ) « ديوان ابن المعتز » تحقيق بديع جمعة .

(ب) « طبقات الشعراء » ط بيروت .

١٨ — ابن النديم « الفهرست » ط بيروت .

١٩ — أبو تمام « حماسة أبى تمام » شرح التبريزى .

٢٠ — أبو حيان التوحيدى « الامتاع والمؤانسة » ط . بيروت .

٢١ — أبو الفرج الأصفهانى « الأغانى » ط . دار الكتب .

٢٢ — أحمد أمين (أ) « فجر الاسلام » ط . بيروت .
(ب) « ظهر الاسلام » ط . بيروت .

٢٣ — أحمد سيد محمد « المصدر الأدبى » ط . السعودية .

٢٤ — الأصمعى « الأصمعيات » ط . دار المعارف .

٢٥ — البحترى « حماسة البحترى » ط . مصر .

٢٦ — بروكلمان « تاريخ الأدب العربى » ط . بيروت .

٢٧ — البصرى (صدر الدين) « الحماسة البصرية » ط . بيروت .

٢٨ — البغدادى « خزانة الأدب » ط . بيروت .

٢٩ — الثعالبى (عبد الملك بن محمد) « يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر » ط . الصاوى .

٣٠ — الزركلى « خير الدين » « الأعلام » ط . بيروت .

٣١ — الجاحظ (أ) « البيان والتبيين » تحقيق عبد السلام هارون
(ب) « الحيوان » تحقيق عبد السلام هارون .

٣٢ — الجمحى « محمد بن سلام » « طبقات الشعراء » ط . بيروت .

٣٣ — حاجى خليفة « كشف الظنون فى أسماء الكتب والفنون » .

٣٤ — الحصرى « أبو اسحاق » « زهر الآداب » ط . القاهرة .

٣٥ — السعيد الورقى « فى مصادر التراث العربى » ط . الاسكندرية .

٣٦ — السيوطى « جلال الدين » « المزهر » ط . مصر .

٣٧ — شوقى ضيف (أ) تاريخ الأدب العربى « العصر الجاهلى » .
(ب) « العصر الاسلامى » ط . دار المعارف .
(جـ) « العصر العباسى الأول » ط . دار المعارف .
(د) « العصر العباسى الثانى » ط . دار المعارف .

٣٨ — الصفدى « الوافى بالوفيات » ط . القاهرة .

٣٩ — الصولى « أبو بكر » (أ) أخبار أبى تمام ط . بيروت .
(ب) أخبار البحترى ط . بيروت .

٤٠ — الضبى « المفضل » « المفضليات » ط . دار المعارف .

٤١ — الطاهر مكى « دراسة فى مصادر الأدب » ط . دار المعارف .

٤٢ — العباسى « معاهد التنصيص » ط . دار المعارف .

٤٣ — عز الدين اسماعيل « المصادر الأدبية واللغوية » ط.دار المعارف.

٤٤ — القالى « أبو على » « ذيل الأمالى » ط . القاهرة .

٤٥ — محمد أحمد خلف الله « أبو الفرج الأصفهانى الراوية » ط . دار الكتاب العربى .

٤٦ — محمد عبد الجواد الأصمعى « أبو الفرج الأصفهانى وكتابة الأغانى » ط . دار المعارف .

٤٧ — محمد مندرو « النقد المنهجى عند العرب » ط . بيروت .

٤٨ — المسعودى « مروج الذهب ومعادن الجوهر » ط . مصر .

٤٩ — مصطفى الشكعة « مناهج التأليف عند العلماء العرب » ط . بيروت .

٥٠ — المقرى « نفح الطيب » ط . مصر .

٥١ — ناصر الدين الأسد « مصادر الشعر الجاهلى » ط . دار المعارف.

٥٢ — ياقوت الحموى « معجم الأدباء » ط . بيروت .

الفهرست

الموضـــوع | الصـــفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٢٣٥/١٩٨٩